فِي خاصرة الأيَّام

عبد الرزَّاق الدّرباس

obeikan.com

الكتاب: فِي خاصرة الأيَّام
المؤلف: عبد الرزَّاق الدّرباس
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٧
رقم الإيداع: ١٤٦٨٦ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978-977-493-260-1

الناشر
شمس للنشر و الإعلام
٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة
ت فاكس: ٢٩٧٠٠٢٣٩ (٠٢) ، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف: ياسمين عكاشة

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

obeikan.com

شمس
للنشر والإعلام

في خاصرة الأيَّام

منثورات منوَّعة

عبد الرزَّاق الدّرباس

obeikan.com

obeikan.com

إهـداء

شقيقتي أديبة :

هكذا ترحلين بانقطاع الأثر.

شقيقي الأكبر نايف ونجله عبد الرزاق :

غيابكما أوجعني كثيرا ، وما يزال.

لكما ولكل الراحلين الغوالي ؛ هذه كلماتي كخنجر في خاصرة الظروف.

عبد الرزّاق الدرباس

obeikan.com

obeikan.com

القسم الأول

من تباريح الخاطر

obeikan.com

obeikan.com

أزرقـان وشـاعـر

أحتاجُ البحر! ذلك الأزرق الممتد كم بيني وبينه من الودِّ! حيث أعجبتني صخرة ملساء على كاسر الأمواج الموغل في الماء فصرت أقصدها برفقة القلم والورقة والقهوة ، وعيوني التي تحاول إيجاد منفذ لها (مدى أزرقين: سماء وماء) على حد تعبير إحدى الشاعرات.

قصدته أمس بعد غياب طويل فعاتبني وعاقبني...

لن أبوح بعتابه لي حفاظاً على خصوصية العلاقة وكتم الأسرار بين متحابين ، أرغمت الظروف أحدهما على الجفاء فصمتَ الثاني ولم يذلّ نفسه في طلب الوصال؛ لكني سأكشف نوعية عقابه المؤلم وضربه المبرح لي في مقاتل جوارحي كلها:

العقوبة الأولى:كانت الصخرة الملساء قد نسيتني وانقادت لغيري ، أجل كان يجلس عليها اثنان ؛ رجل وامرأة لا أدري العلاقة بينهما أهما صديقان؟ زوجان؟ متحابان؟ ، وأمامهما حقيبة فيها من خفيف الزاد ولذيذ الشراب ما يكفيهما فقط، وقد احتلا مكاني حيث لا شهادة تمليك لأحد هنا، والصخور

والبحر مشاع للجميع ومن الجنون أن أقترب منهما لأدّعي ملكيتي لتلك الحبيبة المحتلة ، فابتلعتُ غصتي وتنهدتُ بعمق مضيفاً للأوطان الغالية المحتلة من الداخل أو من الخارج وطناً صغيراً لي تعرض للاحتلال، لكن لم يُذكر ذلك في نشرات الأخبار المُصوَّرة.

العقوبة الثانية أني حاولت كتابة شيء فلم تسعفني الكلمات وهربت مني، كأني أسمع قهقهتها ساخرة من فارس شجاع ما عاد يستطيع مسك لجام جواده، عند ذلك جلستُ منكسراً على صخرة أخرى كأني غريب وبدأت أتأمل البحر والصخور والعصافير والأسماك التي تقترب من الصخر، وقد تعودتْ أن تجد ما تأكله أو تجد من يصطادها، تذكرت حكاية صينية مفادها أن صياداً كان ينصرف من الشاطئ بسلة مليئة بالسمك فيجد مسكيناً متسولاً قرب الشاطئ فيستعطيه ، فيرمي له سمكة صغيرة كل يوم ليشويها ويقتات عليها ، فقابله فيلسوف بلحيةٍ بيضاء وظهرٍ منحنٍ وقال له:

- أنت تظلم الفقير وتُسيء إليه.

ردَّ الصياد:

- كيف أُسيء وأنا أعطيه قوت يومه مجاناً؟

هنا قال الحكيم:

- لو علَّمتَه الصيد معك ليومين أو ثلاثة وتركته لكان اصطاد بنفسه واستغنى عن عطيتك اليومية.

مشاهدتي الثانية أني رأيت سمكة تحت الماء ، وعصفوراً يراقبها وهو واقف على الصخرة القريبة ، تخيلتهما عاشقين يدور بينهما الحوار التالي:

- أحبكَ أيها العصفور لكن موطني الماء ولا أستطيع العيش مثلكَ في البر.
- وأنا أحبكِ وموطني اليابسة والفضاء ولا أستطيع العيش مثلكِ في الماء...
- لو خرجتُ إليكَ وغادرتُ وطني والتقينا؛ سأموتُ في البر ولن نعيش معاً.
- لو جئتُ إليكِ تاركاً موطني لاختنقتُ بالماء ولن أتمكن من البقاء معك.

ويستمر وهج الحب وتستمر استحالة النهاية السعيدة...

انصرفتُ من المكان حزيناً لضياع صخرتي وعتاب البحر لي ، مستغرقاً في تفكيري لإيجاد حل للحبيبين؛ السمكة والعصفور.

الشارقة - ٢٠١١/١٠/١٦م

أسما وأسمر وتركي عربي

اجتاحت مجتمعاتنا العربية فوبيا الدراما التركية باللهجة السورية مؤخراً وتهدمت الخطوط الحمر والباقي أظلم.

يقول لها صديقها: (حرام الزواج من الآن، يجب أن نستمتع بالدنيا ونسافر ونعيش اللذة بأقصى درجاتها ونهرب من متاعب الحمل ومسؤولية الأولاد ونعيش أصدقاء) وتقتنع بالفكرة وللأسف نحن نتابع.

تقول لأختها: (ساعديني أنا في ورطة ففي لحظة ضعف استسلمت لصديقي وذهبنا في متعتنا للآخر وحملت منه) فتساعدها أختها وتعرِّفها على صديقها الذي يذهب بها لطبيب ويجهض حملها الحرام، ثم تحبه من جديد وتشتعل نار الغيرة بين الأختين وتتستران على علاقة محرمة. ومازلنا نتابع.

هي عشيقة ثلاثة من زعماء العصابات وتتلوى في أحضان كل واحد حسب ظروف القصة، وزوجها المغفل لا يدري، وتقول لحبيبها: (حبيبي يجب أن نتزوج فهذا الغلام الذي عمره سنتان هو ابنك أنت وانظر إليه يشبهك تماماً). وتجيش عاطفة الأبوة ويتزوجان بعد أن خاضا الحرام وطفلهما عمره سنتان. وجيلنا يتابع.

أبناء لا يعرفون آباءهم ويعيشون في كنف أسرة بطريقة التبني ، وآباء لا يعرفون أبناءهم وضياع وتشرد ومافيات إجرام ولحم أبيض رخيص وعلاقات محرمة ، وتساهل في الممنوع واعتباره شيئاً عادياً من خلال رومانسية في المشاهد الطبيعية والإخراج والديكور ، مع طريقة مثيرة في عرض أجساد الممثلات الحسان و ٩٩ حلقة فقط ويا (بلاش).

دراما تركية غزت بيوتنا وأثّرت في شبابنا وبناتنا وشدتهم إليها وصار موعد المسلسلات التركية المتلاحقة مقدساً والأخطر تلك الأفكار السامة التي عسكرت في عقول الجيل وتهدمت خلالها أسوار وجدران تعب الآباء في بنائها طويلاً.

إن الماسونية واليهودية في تركيا تيار قوي يدفع الأموال ويضع الخطط للانتصار الاجتماعي علينا ، وسحقنا أخلاقياً وتراثياً

بعد أن انتصر علينا جغرافياً وعسكرياً... وذلك من خلال مخاطبة شبابنا بغرائزهم ورغباتهم المكبوتة، وتزيين الإباحية والفلتان الاجتماعي ، لتغدو مجتمعاتنا المحصنة بالأعراف الاجتماعية والتعاليم الدينية السمحة والأخلاق الحميدة ؛ مرتعاً للزنا والقتل والجريمة المنظمة والعلاقات المحرمة والتفكك الأسري.

إن وزر هذه الفوبيا الهدَّامة يقع على عاتق الشركات التي ترجمت ودبلجت ووزعت، وعلى المحطات التي بثت.

إن الحرب على منطقتنا العربية الإسلامية مستمرة عسكرياً واجتماعياً وثقافياً وأخلاقياً، وعلى عدة جبهات؛ ومنها جبهة جيل الشباب الذي غدا هدفاً لكل من هب ودب، وما هذه الحمى المتفشية من دراما تركية إلا إحدى هذه الهجمات.

ومن خلال رصد واستفتاء وملاحظات موضوعية فإن ٨٠% من شباب بلاد الشام و٩٠% من شباب دول الخليج و٧٠% في مصر والسودان و٦٥% من شباب المغرب العربي؛ شاهد هذه المسلسلات ، ولكم أن تتخيلوا حجم الضرر الحاصل وتتوقعوا الأخطر القادم.

لسنا مع الانغلاق والتقوقع والتشدد، ولكننا مع الحد الأدنى من القيم العربية والإسلامية التي تضمن حسن الخلق والعلاقات الاجتماعية الصحيحة واحترام خصوصيات الأمم.

إن من سخرية القدر أن تصبح (غزل) أشهر امرأة في وجدان الجيل، وأن ينام ثلاثة أرباع شبابنا يحلمون بشفاه (أسما) وضمها لصدرهم، وأن تغفو بناتنا على حلم بأن يأتي (أسمر) على حصان أبيض ليأخذهن إلى الجنة الموعودة ويأتي بطل المسلسل ليقاسمهن دفء الفراش، وهناك (مهند) و(نور) والقائمة تطول...

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم، ويا شبابا ضاع مع الحلم الضائع ويا أياما مضت في اللهاث وراء السراب؛ متى نستيقظ لنكون سادة بعد أن أصبحنا عبيد شهواتنا ورغباتنا وأعدائنا؟؟

متى ننتفض لكرامتنا المطعونة ونحن نسام الخسف على مدار الساعة؟؟

متى وكيف وأين ولماذا وهل؟؟ أسئلة برسم الإجابة...

الشارقة - ٢٠٠٩/٣/٢٠م

أحبكِ بالإعراب والنحو

تمادى بي النحو والإعراب في مخاطبتها فقلت لها:
اسمك تسلل في مسامات جلدي وفعلك في حياتي واضح الأثر، بعد أن كنت ناسخاً أصبحت اسماً مجروراً، وبعد أن عشتُ فاعلاً؛ ها أنا اليوم مضاف إليكِ.

ارفعيني إلى عليائك المشتهى، وحرري قيودي من النصب، واجبري كسر خاطري...

دعيني أفتح في جدار اليأس ثغرة، وأضم شوقي المستعر إلى أحلامي التابعة لكيانكِ...

سيبقى فضائي ممدوداً باتساع طيفكِ، ومنقوصاً دون وجودك، ومقصوراً عليكِ دون غيركِ.

لعينيكِ عطف الأماني وتوكيد الأمل، حيث لظى روحي المنعوت بالوجع، فمالي عنك بدل...

obeikan.com

أحرقتِ في ذاكرتي أرشيف الماضي وامتلكت زمني المضارع ، فأمرك مطاع دون شرط...

أتأملك فينتابني السكون وأجزم أن بناءك في الفكر سامق ، فأنت عندي المبتدأ والخبر...

أناديك يا أرق منادى حيث أودى بي الحب إلى حال يشفق الناس على صاحبها...

نحوك تتجه إشارتي ، وأحلم أن يكون حبل الودّ موصولاً ، فضمائري تناجيك في وضع الغائب ، والمخاطب حيث أنا المتكلم والسائل والمجيب...

ظرفي قاهر فقدّري غدر الزمان ، وفي زحمة الأشخاص أنت اسم التفضيل الأوحد...

أنا في محبتك المفرد فلا جمع لي، وأنا معك مثنى حذفت نونه لقطع طريق وصلنا...

ليتني المتصرف بالحال لأذبتُ الجامد من جليد الوقت ، وجعلتُ المستتر المجهول بارزاً معلوماً.

لك الأسماء الخمسة فأنت: الحبيبة ، الصديقة ، الزميلة ، الشقيقة، الشريكة...

لي مرارة ومعاناة أفعالي الخمسة حيث: أتحسر، أتألم، أحلم، أشتاق، أكتب...

أنا مقول القول في زمنٍ عجزتُ فيه عن أقصر جملة فعلية...

لم تعد جموعي سالمة، فقد تكسرت وتباعد مذكرها ومؤنثها بفعل اعتلال الوقت وإبدال الأصل.

يطول في محيطكِ استفهامي ويتعالى تعجبي ويتعاظم طلبي فتنهاني عوامل المنع...

ظلي وردتي العابقة، ونخلتي الباسقة فأنا باختصار لولاكِ لا محلّ لي من الإعراب.

الشارقة - ٢٠١٠/١١/٧م

إعلانات مبوّبة

في أبجديات التجارة لا تتعدى الحركة إحدى اثنتين:
بضاعة موجودة تحتاج لترويج وتصريف (حركة البيع)/ وعنوان إعلانها: للبيع .
بضاعة مطلوبة تحتاج لاستقدام وجلب (حركة الشراء)/ وعنوان إعلانها: مطلوب.

١- للبيع أسلحة خفيفة ومتوسطة وثقيلة ، برية وبحرية وجوية، تقليدية وغير تقليدية، مصنوعة خصيصاً لبعض الحكومات لتقتل مواطنيها عند الحاجة.

٢- للبيع وسائل إعلام مقروءة ومسموعة ومرئية وإلكترونية، عمياء بكماء صماء، تهمل مشهد الدم النازف وتعرض أباً يشوي لحم الضأن لأولاده في حديقة جميلة.

٣- للبيع ملفّقون يصمون أهل جلدتهم بالمندسين والمتآمرين والإرهابيين والعملاء؛ لمجرّد أنهم طالبوا بحقوق مهضومة منذ حقب زمنية مريرة.

oberkan.com

٤- للبيع ذمم رجال في سدة الحكم يفضّلون مصلحتهم الشخصية على مصلحة أوطان ليرفعوا شعار: إما أنا أو مِن بعدي الطوفان.

٥- للبيع: رجالٌ وأشباه رجال تربعوا على عروش دول مستقرة قوية متحابة ؛ فخربوها وجوّعوها وأذلّوا أهلها واستأثروا برضابها وزهرها تاركين لغيرهم الحنظل والشوك.

• • •

١- مطلوب: أكفان بيضاء طاهرة بموديلات رجالية ونسائية وولاّدية ، من قماش جيد وأصلي يناسب طهر الجنائز وعلوّ الشهداء، وشجاعة المشيعين.

٢- مطلوب آلات تصوير متطورة، وهواتف ذات جودة فائقة لسد النقص في وسائل الإعلام الخاصة والعامة ، حيث نشعر وكأننا في زمن بدر والقادسية واليرموك.

٣- مطلوب بطاقات هوية وجوازات سفر مختومة بعلم الوطن للإثبات بأن هؤلاء الذين في الشوارع هم من أبناء الوطن وليسوا من هونغ كونغ أو بلاد الواق واق وتشيلي.

٤- مطلوب ضمائر حية ونفوس تؤثر على أنفسها وتتنازل عن مكاسبها الذاتية لصالح مصلحة أوطان وشعوب ومستقبل يبدو قاتماً إن لم تحدث معجزة.

٥- مطلوب: رجال ومساعدون لهم يتسلمون حكم بلد بدائي فينقلونه في غضون سنوات لمراقي البلدان الأولى في التطور والأمن والرفاهية والتنظيم والعدل واحترام الإنسان.

• • •

آخر الكلام:

فرق كبير بين أشخاص صنعوا دولاً جديدة فريدة، وأشخاص خرّبوا دولاً كانت مولودة من فجر التاريخ فصارت في آخر عربات القطار.

فرق كبير بين بلاد تضم شعث كفاءات العالم ليساهموا في بنائها، وبلدان تطرد أبناءها وتقتلهم لتبقى بوضعية: مكانك راوحْ أو للخلف سِرْ.

فرق كبير بين أمم تحاول رتق ثقب الأوزون للحفاظ على مستقبل الكواكب، وأمم تموت لتحصل على الرغيف والبيت والحاكم المرغوب.

الشارقة - ٢٠١١/٦/٣م

أغصان زيتون .. لكن

على الخارطة كان يا ما كان، وطن جميل يسوده الأمان، موئل للراحة، ومقصد للسياحة، وبين عشية وضحاها، ها هو الليل يغشاها، ويتحول سهلها إلى صعب، ولها ينفطر القلب.

لكن شهرزاد المساء والصباح، لن تطنب في الكلام المباح، وستوجز القول والخطاب، حيث للموقف آداب، والقارئ ضيّق الوقت، جليل الصمت، لذا سأقول:

١- كانت بيوت السوريين مضافاتٍ لثلاثة ملايين شقيق من العراق عام ٢٠٠٣، ولمليون لبناني عام ٢٠٠٦، واليوم صار السوريون لاجئين عند دولة جارة غير شقيقة هي تركيا، وربّ أخٍ لك لم تلده أمك، كنا نؤوي اللاجئين الأشقاء فصرنا لاجئين عند الأصدقاء والجيران.

٢- كم دفعنا ضرائب للمجهود الحربي لأن الجولان السوري محتل والجيش يشتري أسلحة، وكم نفرح بمرأى النجوم على أكتاف شبابنا وهم يتخرجون ضباطاً، لكننا فوجئنا أن

السلاح الذي دفعنا ثمنه توجه لصدورنا، والشباب أصحاب النجوم اللامعة يضغطون الزناد لتنطلق الرصاصة على جماجمنا.

٣- كانت بناتنا تسافر من مدينة لأخرى بمفردها في المواصلات العامة معتبرة سائق الحافلة أخاً والركاب أبناء عمومة ، وابن قريتها محرماً في السفر، فصرنا في فلتان أمني مقيت، حيث الاختطاف والقتل وحرق الحقول، والرصاص المجاني، والمعلوم صار مجهولاً والفاعل ونائبه واضحان ظاهران غير مستترين.

٤- كم دمعت عيوننا لمنظر الهمجية الإسرائيلية في جنين ونابلس وبيت لحم وغزة وبيروت وصيدا وصور ، وكم شعرنا بالصَّغار لمرأى العربدة الأمريكية في بغداد والموصل وسامراء والفلوجة... فماذا نقول حين نسمع ونرى ما يحلّ بحمص ودرعا ومعرة النعمان وجسر الشغور وحماة واللاذقية والرستن وتلبيسة وإدلب، حيث الجيش جيشنا والأهل أهلنا والقاتل والمقتول بهوية واحدة.

٥- حين لم يعد للأحياء حرمة وكرامة ، اعتقدنا أن للميت حرمته وكرامته ، لكنا فوجئنا أن الرقص على الجثامين موضة ، والتمثيل بالجثث حرفة ، وامتهان الأموات صنعة

أتقنها بعضهم، ليوصل لنا رسالة مفادها: هكذا أنتم في ميزاني، وذلكم مقامكم عندي، ومن عصاني فقد حلَّ عليه عقابي، وكأني - أستغفر الله - القاهر المتفرّد.

هي أغصان زيتون في دروب الدبابات، وورود رطبة في بيداء الشوك، من وطن يجري دمه مجاناً دون صرخة أو عونٍ.

الركايا ٢٠١٢/٣/٢٥م

obeikan.com

أعيدي ترتيبي

(إليها وقد جاءت إليَّ بعد طول غياب منفرد).

أهلا بكِ... فكم كنتُ أحتاجكِ!!

لقد حاربتُ المقاديرَ والظروفَ لتكوني بقربي...

أرنو إليكِ كالطفل، تاركاً فصاحتي ومكانتي ومقدرتي الشعرية والنثرية...

أناديكِ:

اجمعي ركامي من جهاتِ الدنيا الأربع...

قيّدي نسورَ عيوني فقد أتعبتني حدّة النظر...

أعلي أسواري فإنني أشعرُ بانكشافي أمام الناس...

اغمريني بوجودكِ فقد آلمتني أشواكُ الفراغ...

لوّني حروفي كي أكتبَ الجديدَ فكلماتي قد علاها الصدأ...

لا تطلبي مني الكلامَ في حضوركِ فكم أحبّذ الصمتَ خلال تحديقي فيكِ !!

obeikan.com

أقيمي في بالي دونَ رحيل مهما باعدتنا الجغرافية وجارحاتُ النوى...

جفّفي دمعتي الساخنة وأوقفي نهرَ دموعِكِ فربما جاءَ اليومُ الذي نضحكُ فيه معاً...

ازرعي في رمال صحرائي وردة المودّة عساها أن تحوّل الكثبانَ إلى رياضٍ غنّاء...

بعضٌ من أثاثي ما يزالُ كما رتّبته يداكِ، فانفضي عنه غبارَ الأيام ليعودَ مشرقاً .

رتبيني من جديدٍ ، وأعيدي التوازنَ لبوصلتي التي فقدتْ الاتجاهات...

ضعي الشاخصاتِ الإرشادية على طريقي فقد تهْتُ في المفارقِ والأنفاقِ والجسور...

أحسني الظنّ باللهِ تعالى أنه لن يخيّبَ مسعانا، فنحن – مهما بلغنا – أفقرُ الفقراءِ إليه...

نشعرُ بالذلة لدى معرفةِ البشر بحقيقتِنا لكننا نفخرُ حين نتذللُ بين يدي اللهِ ونبوحُ بحاجاتنا...

أعيدي لشفاهي البسمة العفوية غير المصطنعة ليغور صداها في فضاء الروح...

أجل... أناديكِ:
تعالي أعيدي ترتيبي.

الشارقة ٢٨/١٠/٢٠١٠م.

obeikan.com

إهداءات ساخنة

- إلى القلم:

أقسَم الله بكَ، ونزفتَ دمي على الورق، لذا لن أرميكَ في المهملات بعد نفاد حبرك، لأني أخاف أن تبوح بأسراري حيث إني سأُحاسب على كل ما كتبتُ.

- إلى الخاتم:

أنت معدن جامد قاسٍ وراء الزجاج في سوق الذهب، لكنك رائعٌ ناطقٌ دافئ في إصبعها المخضبة بحناء الفرح.

- إلى الأنثى:

الدنيا مؤنث، والكلمة مؤنث، وأنا أعيش في الدنيا لأزرع الكلمات، إذاً أعيش في ظلالكِ وأنثركِ بذوراً في الأرض ثم أرتقب المطر.

obeikan.com

- إلى المال:

أغريتنا فركضنا لاهثين وراءكَ، ثم نظرنا خلفنا فإذا البداية قد ابتعدتْ وأصبحت في كاذب سرابكَ نسياً منسياً .

- إلى لصّ:

هَبْ أن لصاً قد سرقك، لا شك ستغضب وتحزن، إذاً ضع نفسك في مكان المسروقين، بالتأكيد ستعلن توبتكَ.

- إلى الشاعر:

أنت كباقي البشر، تولد وتأكل وتشرب وتحزن وتفرح وتموت، لكنك تختلف عنهم قليلاً، لأن ذكركَ باقٍ فيهم بعد الممات.

إليها: من صمت عينيكِ تنبع أنهار الكلام، ومن اشتياقي لكِ يحمرُّ الياسمين، وفي رحاب ملكوتكِ المشتهى تتوقف دورة الزمان وامتداد المكان.

- إلى والدي:

حيثما حللتُ وأنى جلستُ، أشعر بأنني كبير، بل أكبر الحاضرين، إلا عندما أتحسس خشونة كفيكَ، أشعر أني صغيرٌ صغير صغير...

- إلى اللون الأسود:

لا تتشاءم من نظرتهم إليكَ ، ما أحلاكَ! وما أغلاكَ! وما أبهاكَ! حين صرتَ لباساً تُسربل بياض روحها، وجمال نفسها، ودرّها المكنون.

- إلى العمُر:

عجيب أنت يا سيدي!! نقف في وسطكَ فنحلم بما هو قادم، ونتحسّر على ما فات، وبين الحلم والحسرة تطوينا أيامكَ من دون شفقةٍ .

- إلى قلبي:

أوجعتني يا صاحبي بكثرة ملفاتكَ المفتوحة والمنسوخة والملصوقة ، لذا سوف أدعو عليكَ وأقول: اللهم أذقه ثقل التخزين، ومرارة المسح.

الشارقة ٢٠٠٩/٩/٢٧ م

إيـلاف

قبل ثلاثة أيام كلمتُ الأسرة ومن حضر في بيتي من الأهل بعد صلاة الجمعة، وحين جاء دورها ناديتها: كيف حالك يا حلوة؟ ردّت بثقة: صوتك أحلى، وسألتها عن كل شيء حتى لون ربطة شعرها وفطورها وحوض ورودها عند الشرفة الصيفية للبيت.

أمس تناهى إليَّ صوتٌ مخنوق يقول:

- إيلاف في المشفى لإجراء عملية جراحية لاستئصال الزائدة الدودية.

تكلمت وإذ في المشفى خمسة من أخوالها، وثلاثة من أعمامها، وجدتها لأمها وجدها لأبيها وعشيرة من أولادهم وأحفادهم. طلبت الكلام معها فمنعوني وقالوا هي في غرفة التحضير للعملية...

سألت عن الطبيب الجراح فقالوا: هو صديقك فلان، كلمته وأوصيته لكنه - كعادة الأطباء في تلك اللحظات - لا يهتمون

بالمشاعر قدر اهتمامهم بالمباضع ومستلزمات التشريح، دون أن يتعمق بإحساس الشاعر الغريب قال: لا تجزع فالأمر بسيط .

آآآآهٍ يا بنيّتي ما أقسى الغربة في لحظات كهذه! ليتني بجانب سريرك مقابل كل حطام الدنيا، ليت ذراعي اليسرى وسادتك واليمنى غلالتك البيضاء يا إيلاف. ليت مبضعاً يحزّ جلدك الطري سيفٌ يمزقني لأتألم بصمت وحين أنظر إليك سأبتسم...

كم كنت أبيع الصبر في المواساة والتعازي لمن يستحق! ويقبله مني معرباً عن ارتياحه لكلامي وسروره للنظر في وجهي! فمَن يا غاليتي يتصدق عليّ بمثقال صبر وذرة مواساة هنا؟؟

مَن يا إيلاف يخفف عني وأنا أتخيل المخدّر قد عمل عمله في إحساسك المرهف؟ فاستسلمتِ للمباضع وغبتِ عن دنيا الألم إلى فسحة النسيان واللاشعور؟؟

لله أنتَ يا قلبي كم حفرت الغربة في جدرانك أخاديد!! وكم تلاعبت برياتك رياح النوى والشوق حين لا تنفع الطائرة ولا السيارة ولا الهاتف!!

هناك في بيتنا الريفي الوادع يا إيلاف حلّ شهر الورد والحصاد، لن تراك العصافير وهي تزور الشرفة منتظرة حبات القمح من يديك وهي معك على موعد صارت تعرفه...

وحقيبتك المدرسية لن يفتحها أحد ليرى كراساتك وألوانك، وتواقيع المعلمات بالثناء والشكر والسلامات لأبيك التي كنتِ تنقلينها لي بأمانة وبراءة وفرح الأطفال.

زيّك المدرسيّ سيبقى معلقاً على طرف سريرك فقد صار لباسك أبيض وسريرك أبيض وملاءتك بيضاء ممهورة بخاتم وزارة الصحة، وقطرات دم قديمة ربما من مريض آخر حلّ هنا يوماً وراح...

بسمتك التي كانت تحيي ذابل الورد في نفسي ستختفي وتعود لكنها نقصت شيئاً منك. ليت عينيّ بدل ظفرك!! وذراعيّ اليمنى بدل إصبعك! وكل ما بقي لي من سنوات بدل يوم لزيادة عمرك!! ليت وليت وليت...

أيتها النبضة في الوريد، والبصيرة في العين، أيتها الصورة في قصيدة العمر، والقافية في ديوان المحبة، أيتها التاج في عرش الجمال، والابنة في ميزان الأب لك سلامي. لك دعوة إلى الله بتفريج كربك والتعجيل بتمام ودوام العافية لك...

لن أوجع رأسك يا إيلاف بأرقام كبيرة لسوريين يقدّمون أرواحهم طوعاً على مذبح الحرية هذه الأيام ونحسبهم عند الله شهداء، وهذا ما يخفف عني غلواء وجدي عليك. أبى الألم يا بنتي إلا أن يجعلك كبيرة رغم سنواتك الثماني فالحمد لله على كل حال.

تحية ليد طبيب حانٍ جرحكِ ليزيل ألمكِ ، ولعيني والدة كانت في غيابي كل الناس، ولمن وقف منتظراً خروجك سالمة، ولعينيك اللتين لا أريد لهما الذبول ، اغفري لي غيابي يا صغيرتي فجنحاي قصيرتان هذه الأيام...

سامحي غياب لمستي لجبينك المتعرق من حمى الألم الذي لم يعرف من أصاب...

تجاهلي امتناعي عن تقبيلك عند باب مكتوب عليه: ممنوع الدخول إلا للطاقم الطبي...

اكتبي حين يذهب مفعول المخدّر في دفترك الأخضر الصغير:

- بابا، بحثت عنك بين الوجوه التي أحب حين أحاطت بي فلم أجدك، أين أنت؟؟

إيلاف: لن يطول غيابي فلقد علمني جرحك أن أسحب جذوري لأقتلع نفسي من الغربة. وقد علمني عتابك أن لا أتعرض لعتاب آخر...
إيلاف: منك أعتذر فاقبلي توسّلي وتفهّمي ما أنا فيه وسأعوّضك إن كان في العمر بقية.
والدك.

الشارقة ٢٠١١/٥/٧ م.

obeikan.com

باب لـو المفتوح

في أوج لحظات القناعة والرضا وصفاء الأفق الأزرق، تتسرب إلى النفس خيوط موجعة من جهة ما، عند ذلك يفتح المرء دفاتره ويحاسب نفسه ويضغط زرَّ (السابق) في شاشة حياته، فيعود أدراجه إلى أيام خلت وليال ذهبت لن تعود ، ومناسبات وفرص وأحداث صارت جزء من الماضي ، فيشعر بالغصة والحسرة متمنياً لو عادت تلك الأيام، وهنا يفتح باب (لو) على مصراعيه ، وانفصمت ذاتي إلى شخصين ؛ يبدأ أحدهما بتأنيب الآخر قائلاً بمرارة وملام:

- لو رجعتَ إلى بلدكَ بعد انقضاء الإعارة في الإمارات؛ لكنتَ الآن مرتاحاً من هموم الغربة ومتاعب السفر واستنزاف العمر في تجديد رخصة القيادة وملكية السيارة وعقد إيجار البيت وانتهاء الإقامة والبطاقة الصحية وتجديد حساب الهاتف وتمديد تأشيرة الدخول وتجديد كل شيء إلا روتين حياتك المملة.

لو تابعتَ دراستكَ العليا في الماجستير والدكتوراه لتغير وضعك المادي والاجتماعي والوظيفي وربما كنتَ أستاذاً في الجامعة أو رئيس قسم أو عميد كلية أو...

لو قتّرتَ على نفسك ولم تقترب من النزعة الاستهلاكية لكثير من الكماليات ووظفت ما توافر لديك من فضل مال لكنتَ الآن تكنز الذهب والفضة وتلعب بالملايين ولديك العقارات الكثيرة ومن موظفيك المحاسب والسائق والـ (بودي جارد) ومدير الأعمال والمستشار المالي والقانوني و...

لو احترفتَ السياسة ودهاءها وتخليت عن معظم مبادئك وانضويتَ تحت جناح تكتل ما أو حزب سياسي حاكم أو متحالف مع الحكم لكنتَ الآن قنصلاً أو سفيراً أو وزيراً...

لو تفرغّتَ للعمل الأدبي والصحفي الذي أتقنته من مطلع حياتك بشهادة كل من عرفك لكنتَ الآن كاتباً مشهوراً تحصد الجوائز أو رئيس تحرير مجلة أو جريدة أو محللاً سياسياً لديك سكرتيرة - اللهم صل على النبي - تتزاحم الفضائيات على حجز خمس دقائق معك وانهالت عليكَ المكافآت بالدولار من كل حدبٍ وصوب...

لو كان عدد أفراد أسرتكَ أقل لكانت معاناتكَ أخفَّ وطأة، وكانت ظروفك الأسرية أكثر تنظيماً وأرقى مستوى و...

لو احترفتَ مهنة أخرى غير التربية والتعليم لما شعرت بالروتين والمراوحة في المكان ولكانت حياتكَ ملونة كقوس قزح بدل اللون الأوحد الباهت الممل.

لو... لو... لو كان كذا لكان كذا....

سحب سوداء غير ممطرة تتراكم فوق رأسي ودخان قاتم يملأ أفقي الضيق، وحزن عميق يتغلغل في صدري، وكابوس مزعج يخطف ابتسامتي وألقي ويحيلني كالح الوجه فاقع اللون مبلس الشكل وكأني - لا قدر الله - عليّ غبرة وترهقني قترة، وحسرات تتوالى وكأني بالشاعر القديم يهمس في أذني:

ربَّ يـــومٍ بكيـــت منـــه فلمَّـــا صـــرت في غـــيره بكيـــت عليـــه

قطعت وسواسي متذكراً نعمة الله تعالى عليّ، طاوياً أجنحة الاحتمالات، متذكراً أن (لو) تفتح عمل الشيطان وقلت: الحمد الله، قدّر الله وما شاء فعل.

ثم اتحد الشخصان المنفصمان في واحد، فقام من فوره إلى المرآة ليرى ذبول عينيه وإرهاق وجهه، وأدام النظر إلى أن تباعدت شفتاه مفسحتين المجال لابتسامة عذبة ندية، ثم ما

لبث أن تهاوى على سريره غارقاً في نوم عميق حتى أيقظه المؤذن بعبارة: (الصلاة خير من النوم) فنهض ليبدأ يوماً جديداً من رحلة الحياة .

الشارقة ٢٠١٠/١١/٢٥

obeikan.com

بطاقة حُب

إليها في ذكرى ميلادها...

إليها وقد انشغل الجميع بفرحها...

إليها وهي معشوقة الجميع دون غيرة، فلن يغار مُحبّ، أو يتضايق عاشق...

إليها وقد استبدَّ حبها في النفس، لأنها تستحقّ الحب وأكثر إن كان هناك أكثر...

إليها وقد ارتسمتْ البسمة على ثغر الأطفال والكبار...

وقد لبست الشوارعُ والميادين والأبنية أبهى حللِها القشيبة المرغوبة...

إليها وقد تبدّت كعذراء تخطر في بهاء الطلعة، وخفر الوجه، ومعاني الجمال...

إلى الإمارات في يومها الوطني المتجدد كل عام...

obeikan.com

أناشيد تداعبُ الفضاءَ وألحان تطال الغمامَ وصخب مفرحٌ يشق السكون...

تهانٍ وتبريكات وأمنيات لا تبرح دائرة الطيب والأمن والرخاء والازدهار...

هي فرحة أبنائِها والمقيمين على أرضها في صورة تآلفٍ عزّ نظيره وتعاونٍ فريد...

هي التي لا يبرحها قاطنها حتى يدفعه الحنين للإياب لجنباتها وطيب أهلها...

هي الإمارات لها تهنئة من تباريح الوجدان، وخلجات الروح، ونبض الفؤاد...

أجل نحبها ونبارك فرحتها، لا زلفى ولا ملقاً ولا مجاملة ولا خوفاً. إنما طوعاً وصدقاً، كما يتدفق النبع الزلال تلقائياً، فيجمّل الدنيا ويروي العطاش...

إلى وطنٍ حديث في عمر الزمن قديم في معيار المحبة والأمان والعدل والفضل...

إلى الإمارات في زمنٍ صارت فيه الأوطان طاردة لبنيها فكانت حاضنة الشقيق والرفيق.

أعلامٌ بحجم الحبّ الصادق وصورٌ بقدر الوفاء وورودٌ بعدد أنفاس المحبين الغيارى... لألقِها بيت القصيد ومنثور الدرّ الغالي وعذب الكلام وتيجان عرائس الأبجدية...

هي الإمارات؛ اسم ومعنى، خارطة ومدلول، موئل ومحط رحال غاياتٌ وآمال...

إليها في يومها الموعود، وشاهدها المشهود، همسةُ حبٍّ ليست لغيرها...

إليها في عرسها المتجدّد، ومهرجان فرحها العامر، دعاءٌ بما تريد وترغب...

إليها في ذكرى قيامها بطاقة حب لا يمحوها الزمن ولا تبليها عاديات الأيام...

إلى الإمارات شجراً وبشراً وحجراً، رملاً ونخلاً، برّاً وبحراً، حكومة وشعباً، وقفة وفاء للمؤسس الراحل الوالد زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه والرعيل الأول...

ووقفة دعاء للشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله وإخوانه حكام الإمارات، كي يوفقهم الله لما فيه خير البلاد والعباد، إلى وطن أسسه حكامه على الصدق والعدل والمسؤولية والهدى والإيمان والتراحم...

إلى الإمارات بطاقة عشقٍ موشاة بالقلوب ، دافئة بأنفاس المحبين، رافلةٌ في نعيم العافية...

إلى الإمارات التي يتباهى بها الشعر ويعتز بها النثر ولا تكفيها أبجدية البوح العاطر...

أجل: إليها هذه البطاقة الخاصة من حبٍّ لا يذبل بمرور الزمان ولا ينقص بتبدّل المكان.

opeikan.com

بماذا نقيس الحُب؟

لم أتوقع أني سأتورّط في كتابة مقال عن المحبة ومكيالها المناسب لقياس حجمها أبداً ، لكني حين قلت لطفلتي (إيلاف) مهنئاً بحصولها على الترتيب الأول في الصف الثالث الابتدائي:

- أحبك يا إيلاف.

فما كان منها إلا أن سألتني على الفور:

- يعني كم يا بابا؟.

انتهت المكالمة وسألت نفسي نفس السؤال، إذ كيف يمكننا قياس الحب؟ هل نزنه بالأطنان؟ أم حجمه بالأمتار المكعبة أم بالليتر والجالون كالسوائل؟ هل له مساحة فنقيسه بالدونم والفدّان؟ أم له طول فنقيس امتداده بالكيلو متر والميل؟ أم.... إلخ؟.

فكرة لاقت في نفسي عجزاً عن بيان تبعاتها ، حتى المستحدثات في التقنية لها وسائل قياس، إن الإنسان الذي

أوجد وحداتٍ معلومة لقياس كل ما حوله من أطوال وأحجام وأوزان ومساحات ، وكهرباء وسرعة وفضاء وموجات أثير وتردد البث المتلفز ؛ عجز عن وضع وحدة لقياس كمية الحب؟

حتى الحاسوب وحجم الملفات ابتدعوا وحدات لقياس حجمها من الجيجابايت والميغابايت والكيلوبايت، حتى حجم الصور والملفات قبل وبعد الضغط...

فلماذا لم يخترعوا مقياساً محدداً لقياس مقدار الحب؟ وباعتبار أننا لا نحب كل الأشخاص والأشياء بنفس الدرجة ، كيف أميّز حبي لهذا عن حبي لذاك؟ وكيف أقنع هذه أن محبتها أكثر أو أقل من محبة تلك؟.

مسألة عويصة تحتاج لتقنين وتخليص من هذا الانفلات في قياس المشاعر ومدى حجمها وحرارتها ، أم أن البشر عجزوا عن إيجاد وحدة قياس للحب ، لأن بعض الحب لا حدود له ولا حجم يفيه حقه؟؟ أم لا هذا ولا ذاك؟؟

فكّرت أن أعاود الاتصال بإيلاف لأثبت لها أني أحبها بمقدار حجمُه أو وزنه محددان ، لكني لم أنجح في وضع وحدة

القياس خوفاً من سخريتها لو قلت لها أحبك خمسين كيلو غرام مثلاً، أو أحبك أكثر من أخيك بأربعين متر مربع مثلاً.

ليس الحب هو المنفلت من القياس فقط، بل نقيضه الكره أيضاً لا يمكن قياسه بوحدة حسابية معلومة، لذا سأحيل السؤال لكم في وضع تصوّر لحل هذا الإشكال، وحين نجد وحدة القياس المناسبة للحب، سأتلقفها لأهمس في أذن إحداهن مباشرةً أو على الهاتف، أو بأية وسيلة اتصال قائلاً: أحبك بأعلى رقم حسابي من وحدة قياس الحب، أحبك أكثر من سواك بمقدار كذا، وحين أعجز عن نهاية الرقم الحسابي سأعود للمربع الأول وأقول لها: أحبك بلا حدود لأن أكبر وحدات القياس في الكون تعجز عن قياس تنهيدة واحدة من اشتياقي لك.

الشارقة ٢٠١١/٦/٢٣ م

تباريح

- حين يتغيب وجهك ينقصني شيء ، وحين أفكِّر باللقاء ينقصني شيئان ، وحين اشتهاء اللقاء أشعر أنه تنقصني أشياء وأشياء.
- عيناك تضعان الحبر في قلمي ، وأنا أسكبه على الورق ، يا لسعادتي حين يسري نسغ عينيك في قلمي! ويا لتعاستي حين أنزفه على الورق!!
- حين أسافر ؛ أتأبط جواز سفر أتعبته كثرة الأختام والتأشيرات في الحدود والمطارات، ليتك معي فتكوني جواز سفري إلى دولة أخرى مرغوبة لا تعرفها الخرائط أبداً.
- بحضورِكِ أحترق ، وبغيابكِ أحترق أيضاً ، وبين الحضور والغياب يكثر الحطب ويشتاق الأفق للدخان ، وأعيش أنتظر الشرارة فقط.

- حين تواعدنا لنلتقي الساعة الثامنة في المقهى البحريّ ؛ كانت عقارب الساعة بطيئة، والزمن بطيئاً والسيارة أكثر بطئاً، وحده قلبي كان الأسرع من كل شيء.

- باردة كانت القهوة، خرساءَ كانت العصافير في شجر السرو، وصوت فيروز كان متهدجاً، وشفاهي جافة، وحين لاحظت كرسيكِ الفارغ هناك عرفت أسباب التغيير.

- بين عينيك وقصيدتي كلمة سر، تتضح وتختفي بمقدار رضاكِ عني، وحين تغيبي أضيّع درب الدخول لمملكة الأبجدية، فقط حين تقتربي أسترجع كلمة المرور.

- تموت الأشجار وهي واقفة، تموت العصافير خلال طيرانها، تموت الكلمات حين نكتبها، تنتهي الأنهار وهي جارية، وهكذا تنتهي الأشياء بحالات مختلفة ، أما حبكِ فلن ينتهي إلا بموتي قبلكِ.

- تطورت وسائل تخزين الصور والملفات؛ الفلاش والسي دي والحاسوب والهاتف المتحرك والألبوم والمَحافظ... لكنها غير آمنة من العطب والتلف والفيروسات وعوادي الزمن، لذا سأحفظ صورتك في مكان أكثر أماناً، إنها في قلبي.

- لمَّا خرس الناي عزفتُ له، وأريتُ المرآة صورتها في وجهي حين تعبتْ، كتبتني القصائدُ، أهدت الصحراءُ المطرَ للبحر، انتصر الدم على الجلاد القاتل... لقد انعكست نواميس الدنيا بوجودكِ.
- حين تبوحي بمكنونات نفسكِ واقترب من عالمكِ تصغر الدنيا وأحس أني امتلكتُ الجهات الأربع وحدي، وياااا لشقائي حين تتجاهلين وجودي في دائرة روحكِ!!
- حين يحاول الشاعر تقليد الكبار فلا تصدقوه، فالشاعر الحقيقي المبدع المحبّ أحد اثنين: هو إمّا طفل كبير أو مجنون صغير.

الشارقة ٥/٢٢ / ٢٠١٢ م

تقاسيم على نصف قلب

إلى النصف الثاني:

حين كنتَ جائعاً أيها النصف النّهِم أطعمتكَ مرور أيامي وزفيرَ حسراتي... وحين داهمك بردُ الشتاء وصقيعُ لياليه بحثتُ عن أكثر الأغطية دفئاً لأدَّثرك بفيض من نعيم المساءات وزمّلتك بكنوز القناعة... وحين كنتَ مريضاً داويتكَ بترياق دمي وملوحة دموعي ونزف كلماتي ، حيث أهدرتها على مدارج كبريائك، ظناً مني أنك ستريحني من أي هاجس جديد...

فلماذا أيها المزمّل جعلتني أسهر الليل إلا قليلاً؟؟

وكيف أيها المدثّر تنذر ، متوعداً بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم أتبعْكَ من جديد؟؟

وكيف؟ وأين؟ ومتى؟ ولماذا؟ إلى آخر قائمة الاستفهام العادي أو الذي خرج عن معناه إلى التعجب والإنكار والنفي والدهشة والسخرية والاستحالة والتحقيق؟ كفاني من تجارب العمر ما لاقيت ، فلماذا تتعبني من جديد؟ ولماذا تدوس

بساطي الهادئ بنزق حوافر خيلك الجامحة؟؟ لا أملك من أسلحة المواجهة إلاك وما أظنك كافياً...

أنا الذي لم يعدْ من مدرسة الطموح بالنتيجة المُرضية، ولا رجع من جامعة الزمن بشهادة عليا، أنا الذي وخط الشيبُ مفرقي وصال فيه، لماذا ترجعُني لزمن آخرَ صار في فهرس عمري مفقود الصفحات؟؟ لماذا ترميني مثلَ كرة في غياهيب آمال؟ ولماذا قيّدتكَ أصفادُ الخيال وسلاسلُ أطيافٍ نهبتْ من بهائكَ راحة البال ومجداً لا يُطال؟ وزرعتْ في تربة حديقتك بذرةَ وجهٍ غائب واسمٍ تعملقَ في ضيق غرفتك الصامتة؟ لماذا؟؟ أجبني فإني متلهّف للجواب...

• • •

إلى النصف الأول :

حين تشتدُّ بي رياح النوى وتستعر مواجعي أقصدكَ أيها النصف الوديع فأجد في وارف ظلالك حجاباً من القيظ، وفي رحاب ملكوتكَ كلّ ما أشتهي وأكثر من راحة البال وامتناع السؤال، أجد في الأسماء والزوايا نثار ضحكتي وشرائط وصالي وعبق قهوة جدودي الذين أوصوني أن أكون سليلهم الكفء، وابنهم الذي يكمل رسالتهم، أجد فيك أيها النصف نشوة

أشواقي ومستودع ارتغابي ، وأجراس أناشيدي وضحكةً لا تخصني وحدي بقدر ما يتلقفها الآخرون كصائمٍ في نهار صيفيّ ينظر إلى الماء عند تكبيرة أذان المغرب...

أناديك بكل حروف الأبجدية أن تتسع لضعفي وتنحني لاستيعاب أشلائي المهزومة ، وتأوي في أروقة قصركَ عصافيرَ روحي التي روّعها خفقُ الفؤاد. أرخِ عليّ وريفَ ياسمينِك ، وبساطةَ ريفِك وكرومَ خصبك وشقوقاً في أكفَ والدي وهو ما يزال يغرس لنقطف نحن الثمار ، اغسلني بصابون الطهرِ وعطّرني بلهفة المنتظرين وهم يشرئبون للأعلى كي يطبعوا على جبيني قبلة وداعٍ مرير قد يكون الأخيرَ ، أو قبلة لقاء منتظر خافوا ألا يكتمل. فمن أيقظ في حظيرة روحي ضبحَ العاديات؟؟ عليه أن يسرجَها ، ومن سل البيضَ الخِفافَ الصوارمَ من أغمادها توجبَ عليه تحمّل ضرباتها ليساعدها على طلب الفتح الجليل ، ومن لعبَ في رمادي فوجد جمرة فنفخ فيها؛ وقعَ عليه وزرُ اشتعال الكون.

أيها القلبُ الضعيف ، يا رفيق أحلامي وخيباتي وسعدي ونحسي هل أنت واحدٌ أم شطرك المجهول نصفين ؟ ، أجبني فإن الصبرَ يوشكُ أن ينفد.

الشارقة ٥ /٤/٢٠١٠م

حِبال وتأملات

في ملاحظاتنا اليومية نجد الكثير من المشاهد التي تلفت أنظارنا، وفي بعض الأحيان نشيح عنها دون انطباعات، وفي أحيان أخرى تثير فينا مواجع الكلام وتباريح الأبجدية فتتداعى الأفكار...

اليوم خلال انطلاقي لعملي صباحاً رأيت جارنا يستخدم الحبل لقطر سيارة صديقه المعطلة، كان الحبل مجدولاً أزرق اللون، يصل السيارتين وينقل الحركة من السيارة الأمامية الحية إلى السيارة الخلفية الميتة، بطريقة تحاول نفخ الروح في الجسد الهالك، فتداعت أمامي الحِبال بأنواعها وبدأت أُعدِّد:

أولاً: الحبل السريّ

ناقل الغذاء والترياق للجنين في بطن أمه وما أسرع الاستغناء عنه حين يأتي المولود للدنيا! ليكون غذاؤه بطريقة جديدة، فيصبح الحبل السريّ عبئاً يجب التخلص منه ونسياً منسياً، إنه أول حبل يتعامل الإنسان معه.

ثانياً: حبل الدلو:

يصل يد الساقي بالدلو الممتلئ بالماء من جوف البئر، يحز صخور البئر من كثرة مروره عليها وهو يتبلل بالماء المنسكب، وكم يهنأ بمصافحة يد صبية جميلة تستقي الماء من نبع ريفيّ زلال فيتمنى ألا يغادرها.

ثالثاً: حبل المشنقة:

يلتف حول عنق المحكوم عليه بالإعدام ويضيق ضاغطاً الحنجرة مغلقاً مرور الدم في الأوردة والشرايين بقسوة مقصودة، خلال كلمات أخيرة يتمتم بها من هو على وشك الشنق مكابراً أو نادماً أو باكياً أو متطلعاً لعيون أهله الذين لن يراهم بعد اليوم، ويتركهم في سوداوية الصورة القاسية يتألمون ما امتدت بهم سنوات العمر.

رابعاً: حبل الساحر:

يشكله كيف يشاء مخادعاً عيون الناظرين فيرونه أفعى تتلوى، أو غصن شجرة أو شرياناً ينبض أو رباطاً وثيقاً، وحين زوال الغشاوة يعود لطبيعته بعد أن يكون قد سافر في مسارب الخيال ومتاهات السحر.

خامساً: حبل الحبّ والوصال:

بسطتْ (رابعةُ) الحبلَ لنا، قطعتْ حبالكَ بعدَ وصلِكَ (زينبُ) إنه الحبل الذي نحرص على بقائه متصلاً، وكم سفحنا من دم القلب وحبر الكلمات ليبقى!! كم تولّه فيه الشعراء وذرف له العاشقون الدموع!! وتقلبت على شوك المضاجع زينبات المحبة!! ما أصعب أن يُرخى بعد شدّ ويُقطع بعد وصال!!

سادساً: حبل الله:

إنه المتين القوي الذي ما خاب من اعتصم به ، إنه المجاز الموجود بين الخالق والمخلوق، هو الحبل الذي لو قطعت كل الحبال الأخرى وبقي موصولاً فلا ضير ولا شقاء، وإن قُطع فسيحلّ النكد والضنك رغم وصل باقي الحبال ، هو حبل النجاة لمن تمسّك به، ولمن تجاهله الضياع والتيه في وديان الحياة الدنيا، والعذاب في الدار الآخرة أخيراً.

لقد ناجى أبو فراس الحمداني ابن عمه سيف الدولة ليخلِّصه من السجن ببلاد الروم بهذين البيتين ، وها أنا أستعيرهما لأناجي بهما ربي عزَّ وجل قائلاً:

فليتـــــكَ تحلـــــو والحيـــــاةُ مريـــــرةٌ
وليتـــــكَ ترضـــــى والأنـــــامُ غِضـــــابُ
وليـــــتَ الـــــذي بـــــيني وبينـــــكَ عـــــامرٌ
وبـــــيني وبـــــينَ العـــــالمين خـــــرابُ

كنتُ سأتابع الكتابة عن حبل الغسيل ، وحبال السفينة ، وحبل حمَّالة الحطب... غير أني سأترك حبل الأفكار لكم أنتم.

دبي ٩/١٠/ ٢٠١٢ م.

obeikan.com

جنون الأماني

سئِم الأعمى عصاه التي يستعين بها، وملَّتْ العصا استشعار طريق صاحبها.

كلاهما يحلم...

الأعمى يحلم بامرأة يتوكأ عليها وله فيها مآرب أخرى...

والعصا تحلم برجل مبصر يحيلها إلى التقاعد.

• • •

الشاعر ملَّ قلمه الذي يقطر كلاماً، والقلم كره أصابع وأوراق الشاعر البائس.

هما يرغبان...

الشاعر يرغب أن يمسك وردة تقطر عطراً، والقلم يرغب أن تمسكه أصابع قاضٍ ليحق الحق وينصف المظلومين.

• • •

obeikan.com

ملَّت المرآة وجه ساكن البيت الوحيد صباح مساء، كما ضجر هذا الوجه من المرآة الحزينة الثابتة.

تمرد الاثنان...

المرآة تريد أن تمشي لتبحث عن وجهٍ جديد، والوجهُ يرغب بمرآةٍ تستطيع تجميل الوجوه وستر عيوبها.

• • •

ضاقت النجوم ذرعاً بعلو مكانها واشتاقت للهبوط، وتعفنت الأشجار مكانها لأنها لا تغادره أبداً.

كلاهما يريد التجديد...

النجوم مازالت ترسل ضياءها للأسفل علَّها تهبط، والأشجار تنمو للأعلى علَّها تصل هدفها ذات يوم .

• • •

ملَّ الإمبراطور عيشة القصور ونعيمها وعظمتها وحراسها، وتضايق أحد أفراد الشعب من شقائه الأبدي وحياته المعذبة.

كلاهما له أمنية...

الإمبراطور يتمنى لو كان فرداً عادياً من الشعب يوماً واحداً، والشقي المعذب يتمنى لو يصبح إمبراطوراً كل العمر فقط.

• • •

كرِهتْ الأقدامُ هذا الحذاء الأبدي الذي يسجنها ، وتململ الحذاء لأن قدماً واحدة لا تتغير تسكن فيه.

الاثنان يريدان التغيير...

الأقدام تشتاق أن تطأ الرمل والماء والبلاط، والحذاء يشتهي أن تسكنه قدمٌ جميلة ناعمة مشهورة كقدم "سندريلا".

• • •

فرح المؤمنون بنعيم الجنة وأنهارها وحورها ، واستغاث المشركون من عذاب جهنم، وجاء الأمر الإلهي الذي لا يرد:
قيل للمؤمنين: { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ }
وجاء الجواب للمشركين: { اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ }
عندها انتهى الزمان والمكان والأحلام والأمنيات.

• • •

الشارقة ٢٠٠٩/٤/٧.

خائف من الحُب

حين تشفُّ النفس وتصبح الجوارح جنوداً وعبيداً لنبض القلب...

وحين تصعد الأحاسيسُ إلى ذروة الوجد، ويعسكر هاجسٌ ما في حنايا الروح...

وعندما لا يبقى من أصابع الكلمات إلا محابسُ قديمة خبا وخفتَ رنينها...

وحين تتحول نارُ التلاقي إلى رمادٍ بخيلٍ بشهاب قبسٍ للمصطلين...

عندها تتهدم جُدرُ الكبرياء، وتتزلزلُ الشجاعة، وتنحني من عليائها الرجال.

عندها سأعلنُ صراحة: إنني خائفٌ من الحب.

أجل أيها الحب! كم تمنيناكَ أن لا تأتي فأتيتَ!

وكم رغبناكَ غير مقيمٍ فأقمتَ!

وكم شمختْ قصورُ الأحلام على رمالك! فعشنا فيها ملوكاً لا نعترف بالملوك، ثم أزهرتْ براعمُكَ وعقدتْ وأثمرتْ جنىً زادَ في حلاوة الزمان، فقلنا انتهتْ الفصول.

ولفرط خدعتِنا بالأمان تركنا نوافذ القلب مفتوحة دونَ ستائر فتسللتْ نسماتك مع أنفاس المطر ولون الشجر وأسماء البشر ثم دنوتَ فتدليتَ فكنتَ قابَ قوسين أو أدنى من الشغاف، لتعيدَ للأغصان ترياقَ الخضرة، ولمناقير البلابل شدوَ النشيد.

أجل!! خائفٌ منك أنا أيها الحبّ...

لأنك حين انتصرتَ على شحناء قلوبنا وضيق صدورنا وسلال خطايانا كنا عوناً لك مستفيدين من قوتك وضعفنا ، من جمالك وقبحِنا، فلم نقاومْك، بل كنا وإياك كالفراشة والورد، وكالغيث والرياض العطشى ، وكاللهب الذي يغازل ثلوجَ القطب.

أما الآن فإنا نخافُ تمكّن سطوتِك من ضعفنا، ونخشى على خزائن حكمتنا من شرارتك، وعلى ملفاتنا الحصينة من دهاء فيروساتك التي لا تقاوَم.

أخاف منك أيها الحب فلا تنتهز وهَني ، وأخشى سيولك الجارفة فلا تكدرْ صفاء ساقيتي ، وراضٍ بجفاف عينيّ فلا ترخِصْ حرارة دموعي.

قديماً قالوا: إنَّ الذي يخاف من شيءٍ يقعُ فيه...

وأنا - أيها الحُبُّ - أخافكَ أخافكَ أخافكَ، فلا تتركني أقعْ فيك.

الشارقة ٢٠١٠/٣/٧م

obeikan.com

رثاء لخير جليس

رثيت لحالها أمس فكم كانت مهملة قليلة الشأن!

على الدرج ، وفي مواقف السيارات ، بين أحواض الورد ، في النوافذ، وحول سلة المهملات، أزعجني منظرها في تلك الحالة وهي التي كانت قبل ساعات عالية الشأن.

إنها كتب الطلبة التي يقذفونها في أي مكان بحجة انتهاء الامتحان، وكأنها أفعى في جيبهم يجب أن يتخلصوا منها، أو عقرب تحت ثيابهم تزعجهم ويتقون خطرها بقذفها في أي مكان.

انحنيت لالتقاط كتاب لغة عربية للثاني عشر ، ذهلت لأني رغم تدقيقي لم أستطع معرفة صاحبه فلم يكتب اسمه واكتفى برسم قلب مجروح يخترقه سهم (الحُب) ويكتب تحته (حب = R +A) ، وكان الكتاب جديداً لم تعاركه يد طالب إلا قليلاً. رغم أن هناك مكاناً مخصصاً لوضع الكتب المستهلكة أنفقت عليه وزارة التربية الملايين، ولكن لا التزام.

تذكرت كيف درَّست الحادي عشر هنا سبعة أعوام ولم أبدِّل كتابي، ليس لأن التدريبات محلولة فيه - معاذ الله - فأنا أبدِّل صيغة الإجابة من حصة لأخرى ومن شُعبة لأخرى، ولكن حباً في كتاب اصطحبني لسنة ومازال صالحاً للاستخدام ، ومن طرائف ذلك أني أثبت التاريخ بجانب عنوان الدرس حتى اجتمع عند درس قراءة عنوانه (الصداقة للكاتب خالد محمد خالد) ستة تواريخ فوق بعضها، وكلها في إطار زمني يقترب أو يبتعد عن الآخر أسبوعاً ، وحين شاهدها مدير المدرسة بالصدفة أيقن أني أستخدم الكتاب منذ سبعة أعوام فالتواريخ لا تكذب، فقال لي - رحمه الله- يومها: أنت رجل تحفة غريب عجيب.

عادت بي الذاكرة لكتبي في الإعدادية والثانوية والجامعة، كيف كنت أتفنن في كتابة الاسم وعبارات الافتتاح وأدعية الدراسة والتوفيق، كيف كنت أفرح لدى وجود نصف صفحة فارغة لأسوِّدها بخاطرة سريعة أو ومضة قصيدة خجولة، أما الصفحات الفارغة التي تفصل بحثاً عن آخر فكانت هديتي الأثيرة حيث كنت أجعلها لوحة أدبية فنية ثم أثبِّت التاريخ عليها، ومازلتُ كلما شدّني الحنين لأيام خلت أتصفح الكتب لأقرأ أفكاري واهتماماتي تلك الأيام فأضحك وأبكي وأستحسن وأستهجن.

استغربتْ ابنتي التي في الصف السادس حين أرتني شهادتها آخر العام ، فغبتُ عنها دقيقتين في مكتبتي وأخرجت لها شهادتي يوم كنت في الصف السادس سنة ١٩٧٦م وقارنتْ الشهادتين أمامها، فخجلتْ لأن درجاتي أكبر، وتأملتني بعينيها الجميلتين وهي تقرأ تاريخ الشهادة ثم دمعت عيناها وطوقت عنقي بذراعيها الغضتين وهي تقول: بابا أنت رجل عظيم نادر.

مسكين كتاب الطالب في عصر (البلاك بيري) و(البلاي ستيشن) وكأس العالم و(الدش مال ١٠٠٠ قناة فضائية) ، ومظلومة كتب هذه الأيام في عهد (الهاردسك) و(السي دي) و(الفلاش مال ٤٠ غيغا) و(الآيفون) و(الآيباد)...

مسكين هذا الجيل الذي لا تربطه بكتابه إلا ضرورة حفظ بعض المعلومات السطحية، فلا يريد نسبته إليه ولا أن يخط عليه اسمه.

لمَّا رأيت ذلك لم أجد حلاً إلا بتكليف العمال أن يجمعوا الجثث المتناثرة في كل مكان ليكفنوها ببلاستيك أسود ضاقت به الحاويات ثم ينتظرون سيارة (البلدية) حيث تشييع الموتى إلى مصيرهم المعروف المجهول.

الشارقة ٢٠١٠/٦/١١ م

رسالـة

حين ترهقنا الالتزامات طيلة الأسبوع تأتي الإجازة كحورية البحر ، تطلع من زرقة اللازورد لصياد بائس يبني أحلامه المتكسِّرة على رمال الخواء...

وهكذا نغرق في الجمعة والسبت في الاسترخاء والراحة ، لدرجة صار البيت مسكناً ومتنزّهاً وشرفة وارتحالاً ومبيتاً ومطعماً وسهرة.

مساء يوم الجمعة اتصل بي شخص عزيز ليسألني: أما مللت المكوث؟ أما اشتقت للبحر الذي يبعد عن بيتك ٥٠٠ متر فقط؟ راجعتُ نفسي كأني أشتاق لحبيب وهو في متناول اليد. قلت نعم ، فرَّتبنا موعداً لا نخلفه نحن ولا هو مكاناً سوى.
الساعة السابعة صباح السبت كنا ثلاثة على الساحل الهادئ: إعلامي معروف ، ومهندس معماري ، وكاتب السطور ، والبحث عن الراحة رابعنا.

ترجلنا من سيارة الإعلامي مع مستلزمات الشاي على الحطب وفطائر ساخنة من الزعتر الحلبي والجبنة وثلاث تفاحات فقط وماء الشرب ليس إلا.

نصف ساعة جري خفيف كانوا خلفي، ربع ساعة تمارين رياضية بقيادة المهندس حيث خدم سابقاً في الجيش السوري، ثم حركات من وضع الوقوف والجلوس بخبرة الإعلامي وراء المكتب.

تناولنا فطورنا البسيط ونضجت الشاي فوق الجمر، وبدأ حديث الأصدقاء دون كلفة ورسميات، احتسى أحدهم سيجارته بعمق وحين نظرت إليه رجاني ألا أتكلم لأنه يعرف أسطوانتي عن أضرار التدخين.

كانت النوارس تعوم وتطير في منظر عجيب، وسطح البحر هادئاً وقلة من مرتادي الشاطئ في هذا الوقت وآثار أقدام لعشاق وأطفال وصيادين وفضوليين مازالت ذاكرة الرمل تحفظها بعد ليلة ازدحام.

امتطينا مركباً وأجبرنا الإعلامي على الركوب لأنه يخاف من (بانيو الحمّام) حين يمتلئ حسب قوله، وغادرنا البر لعمق ٣ كم داخل البحر وهناك تضاءلت الأبراج وطوّقنا البحر من كل

الجهات ، يا للبحر كم هو واسع رائع حين يحب! وكم هو قاسٍ قاتل حين يغضب!.

في لحظة الاسترخاء بعمق البحر لم يكن معنا إلا ربَّان المركب الهندي فخطرت ببالي أغنية جميلة للإماراتي "ميحد حمد" (يا بحر أنا بسألك عن مبعد الدار)، وقطع تفكيري الإعلامي حين قال سأسألكم نفس السؤال وتجيبون بسرعة:

- ماذا تتمنون في هذه اللحظة؟

ردَّ المهندس:

- تدخين سيجارة، فقد نسيت علبة السجائر على الشاطئ مع اللوازم.

سألته:

- وأنت ماذا تتمنى؟

ردّ الإعلامي:

- الرجوع حالاً للبر فأنا خاااائف جداً.

وانفجرا في وجهي معاً بالسؤال:

- وأنت؟

قلت بتنهّد عميق:

- أتمنى لو كانت معي...

سخرا من أمنيتي المستحيلة وأمرْنا الغلام أن يدير دفة القيادة نحو البر. حين اقتربنا من الشاطئ وضعت سبابتي وإبهامي على أزرار هاتفي وكتبت لها الرسالة التالية:

"عدد قطرات ماء البحر ، وعدد ريشات النوارس ، وعدد حبات الرمل من حولي، وعدد نبضات قلبي أحبك".

اخترت اسمها المحفوظ بين الضلوع وتباريح النفس قبل أن تحفظه ذاكرة الهاتف وقلت: إرسال، طارت الرسالة ووصلت وجاء الرد الذي لن أبوح لكم به.

عجمان ٢٠١١/٣/١٢ م

obeikan.com

سألتها الوصل

الزمان: إجازة عيد الأضحى/ الخميس ٢٠٠٩/١٢/٣م.

المكان: غرفة المكتب في بيتي الريفي شمال غرب سورية.

الجو خارج الغرفة شديد البرودة ، رؤوس أغصان السرو والصنوبر الشامخة تتلوّى تحت سياط الريح قارسة البرودة، العصافير تندسّ في شقوق الجدران وتشابك الأوراق علّها تجد الدفء، الحركة في الشارع شبه معدومة إلا من صوت سيارة أو دراجة نارية تكسر حاجز الصمت، السماء شاحبة ملبّدة بغيوم سوداء مبشرة بمطر غزير قادم...

كنت خلف زجاج النافذة الشفاف أرمق المشهد، وبجانبي مدفأة يتراقص فيها اللهب وينشر في المكان أمناً وأنساً ومتعة الدفء، في حين كل ما حولك يستغيث من البرد.

على الطاولة فنجان القهوة المحبب حيث عبقت رائحة البن والهال وتصاعد البخار منه كسولاً كأنه مسافر لا يريد المغادرة، ما أجمل القصيدة في هذا الجو!!

فرشتُ بياض الورقة أمامي، وأمسكتُ قلمي برهبة كطالب خائف من أسئلة الامتحان فلا يعرف من أين يبدأ وبدأت أنتظر...

استدرت يميناً فرأيت مكتبتي ومجلداتها ولوحة فوقها قد كتبت بالخط الكوفي تقول: (وفوق كل ذي علم عليم) لكني لم أستطع الكتابة.

عن شمالي كانت لوحة جدارية لمنظر طبيعي يأخذ الناظر إليه لعالم من التخيلات والحرية والجمال، لكني لم أكتب.

أمامي بجانب الحاسوب لوحة مذهبة بخط الثلث تقول: (وكان فضل الله عليك عظيماً) فحمدت ربي على كل حال لكني لم أستطع الكتابة.

عددت أضواء الثريا في سقف الغرفة...

والورود الشتوية الباردة في الحوض المجاور...

دوائر السجادة السميكة. ألوان الستائر. أيام التقويم التي أمامي. لكني لم أكتب.

أحسست أن الكلمات غزلان مطمئنة في حماها ففاجأها نمر جائع فتفرقت بدداً. شعرت أن المعاني (حُمر مستنفرة فرَّت من قسورة).

تخيلت الحروف أسراب حمام كانت تتزاحم حول رشة قمح شهي فسمعتْ طلقة الصياد فطارت مذعورة في كل اتجاه تاركة فراغاً موحشاً وريشاً تلعب به الريح.

ناديتها فلم تأبه بي، تودتُ إليها فما لانت لي، دعوتها فلم تجبني، أغريتها فتمنعت، توسلتُ إليها فصدتني كأنها ما سمعت بـ (وأما السائل فلا تنهر).

استسلمتُ وأعلنتُ انهزامي ونسيتُ القهوة تبرد دون أن أرتشفها، وطويت ورقتي فارغة وأجنحتي متكسرة، وغادرت الغرفة إلى جوّ آخرَ مختلف، وهنا تذكرت شاعراً عربياً أحب فتاة من ذوات الخدور وربات الستور وسألها الوصل فأبتْ لتتركه يتعذب، فاعتل صاحبي لكنه قبل الرحيل كتب قصيدة طويلة مشهورة منها:

سألتها الوصلَ، قالتْ: لا تغرّبنا
مَن رامَ منا وصالاً ماتَ بالكَمَدِ
هم يحسدوني على موتي، فوا أسفي
حتى على الموتِ لا أخلو من الحسَدِ

أجل قررت نسيان الموضوع حتى تعود إليّ راغبة بالوصل، طائعة لأوامري، معتذرة عن صدودها، لتساعدني على ما ابتليتُ به من عشقها الذي أضناني.

سيدة الوقت

من أنتِ حتى تفعلي بي كل ذلك؟

لكِ تنحني مقامات الروح...

ومنك أستمدّ اخضرار الأمل...

وفيكِ أرتحل على صهوات الحلم إلى دنيا أخرى لا حدود لها لا يقيم فيها غيرنا...

إليك تنتهي جداول اشتياقي وأنهار حنيني بعد مسيرها المضني...

يا طيفاً لا يغادر المخيّلة، ونبضاً لا يغيب من نبض العروق...

يا وردةً لا تذبلها جارحات النوى وحواجز الحدود وتواريخ وألوان جوازات السفر...

في ميدانك ترتاح العاديات من خيولي، ويهدأ نقع أسفاري...

ومن خصب رياضك أقطف أجمل أزاهير الأبجدية نثراً وشعراً.

obeikan.com

وعلى سهول خارطتك تنبت كل سنابل الكلمات والصور والقوافي.

كم يستبدّ بي طيفك فيستعمرني ويقيدني بمعاهدات الاحتلال غير المتكافئة!

وكم أحفظ في ذاكرتي من ملفاتك لدرجة الامتلاء! فأفتح في روحي أعشاشاً أخرى.

أنتِ الندى الصباحي فوق بياض ياسميني الذاوي، ومشتهى النفس في حقبة الصدود.

أنتِ الماء الثجّاج من معصرات الوجد ليروي ما تصحر من بساتين أيامي...

أسمّيكِ إشراقة الصبح فيعسعس الليل ويحزن...

وأدعوكِ بسمة الغروب فيتنفس الصبح ويبكي...

أتخيلكِ واحة القيلولة فأجدك أهمّ وأعظم...

أخالكِ هدأة الرقاد فألقاك الراحة والهدوء الذي يفوق غشاوة النوم...

لستِ من طين السحر ولا من خيال شهرزاد فأنت آدمية التكوين واقعية الوجود...

أشواك الانتظار تدمي بناني، وعزف الريح في خوائي يعلو من دونك...

في رحابك تنحني هامة الكبرياء وترتعش سيوف العزم لتغدو أزهاراً وومضة حلم.

حول حماك تزغرد عصافير انتظاري، وفي فضائك تهيم فراشات فكري...

كيف أناديكِ وقد تهتُ في الأسماء والألقاب والرموز والشارات؟...

آهٍ يا سيدة هذا الوقت وكل الأوقات...

من أنتِ حتى تفعلي بي كل ذلك؟...

أحسب أني أعرفكِ منذ يوم مولدي الذي لا أذكره وأذكر يوم لقائك فقط.

سأسجنكِ داخل قضبان فكري، في تباريح روحي، بين أسوار ضلوعي، مدى خفق قلبي، حتى يأذن الله بلقاءٍ مأمول، أو بمفاجأةِ فراق مُرٍّ لا أريده أن يأتي.

الشارقة ٢٠١١/١/٥ م

شاي و احتمالات

الزمان: الساعة السادسة والنصف من مساء الأربعاء ١٩ /٢٠١٠/٥م

المكان: إحدى قاعات المناسبات المهمة في دُبي.

خلال حضوري مناسبة عامة في إحدى الصالات كنت أجلس مع اثنين من أصدقائي والكل منشغل، رجال وسيدات من كل الشرائح؛ أدباء صحافيون مدرسون رجال أعمال، مسؤولون.

فجأة رأيت الرقاب تدور في اتجاه الباب ، فنظرت أيضاً ورأيتها...

كأميرات أوروبا في العصور الوسطى ، جمالاً وشباباً ودلالاً وأنوثة سرقت عيون الجالسين رجالاً ونساءً، وبدأ الهمس: من تكون هذه؟ وما عملها؟ ومن أين؟ و...؟

طافت أرجاء الصالة كأنها تبحث عن شيء ، وموظف الاستقبال يرشدها لطاولتها الفارغة المحجوزة هناك، لكنها لا ترد عليه.

واقتربت من طاولتنا فظننت أن أحد أصدقائي يعرفها ، فاستقرت العيون باتجاهنا ويا للمفاجأة! سألتني بشموخ وغرور عن اسمي ، فانتفضت في وجهها محتجاً على طريقة السؤال، فقالت:

- أظنك مذيع النشرة الإخبارية في قناة.....

قلت بنزق:

- لا، لا أحب الأخبار رغم إدماني إياها وحرصي على متابعتها.

- آاا أنت رئيس تحرير مجلة....

- أيضاً لا ، فلا أحب تسلط رؤساء التحرير ورقابتهم على الكلمات ومحاباتهم لبعض الأدباء.

قالت بتأفف:

- يووو أظنك مرافق فخامة السيد/ .....

رددت بغضب:

- خانك الظن، لا أحب أن أكون إمّعة لأحد، كائناً من كان، ولو رضيت بذلك لكنت سفيراً أو وزيراً.

وساد الصمت...

كان الحضور يتابعون تخمينها بدهشة ، وكنت الأكثر دهشة من توقعاتها وتخصيصي من بين الحضور بهذه التوقعات من امرأة ما رأيتها من قبل أبداً أبداً!!

هدأ غرورها وطلبت أن أسمح لها بالجلوس، قلت: تفضلي، فجلست وافترت شفتاها عن ابتسامة تجعل كل أبجديات العالم حطباً وكل أوصاف الجمال بالونة في يد طفل...

قالت:

- إذاً من أنت؟

قلت:

- ولماذا أنا؟؟

- ما تعودت أن يناقشني أحد فيما أريد.

قلت وقد شعرت بالإهانة:

- لست من توابعك ولا من عبيدك، أرجو ألا تفسدي بقية السهرة.

تغيرت ملامحها وبدأ شيء من إنسانية يسري في ملامحها وقالت:

- رجائي أن تجيبني وأنا أعتذر سلفاً عن اقتحام جلستكم...

هنا نهض صديقاي وانصرفا وقد تركاني وحيداً إلى جوارها فقلت لها:

- إنا إنسان بسيط جداً، أعمل مدرساً مغموراً، ثم إني شاعر كاتب لي قرائي في الصحف والمجلات والإنترنت، بعيد كل البعد عن الذين كنتِ تظنين، أحب الفراشات والعصافير

obeikan.com

والأطفال والناس أجمعين، لي في سوق المحبة أسهم رابحة، وفي بنوك الآلام رصيد وفير، ليس لدي شركات قابضة ولا شريكات باسطة، غريب الدار، وحيد في مجاهل الأسفار...

قالت بهدوء:

- يا الله! لقد خاب ظني فيك.

- الحمد لله.

نهضتْ وقالت:

- ألا تريد أن تعرف من أنا؟

قلت بسرعة متعمداً تصغيرها:

- لا، الأمر لا يهمني.

فتحت حقيبتها فأخرجت بطاقة ملونة فيها كل ما يلزم من تفصيلات عنوانها وغادرتْ تاركة رائحة عطر ساحر، وصداعاً في الرأس، فراغاً يصعب ملؤه...

٢٠/ ٥/ ٢٠١٠م

obeikan.com

شـؤون و شجـون

ليست مجاملة ما سيأتي أيها السادة فأنا لا أجامل...

ليس تزلفاً لحاكم أو مسؤول، فأنا - الحمد لله - في غنى عن ذلك...

ليس لي شرف تأليفها الأدبي الخيالي بل نقلها للقراء فقط...

لم يطلب مني أحد أن أكتب للحصول على مقابل لكن بمحض رغبتي وإرادتي...

ليس تصغيراً لوطني - معاذ الله - بقدر ما هو مقارنة وبقعة ضوء على السلبيات...

• • •

المناسبة: الذكرى الخامسة لرحيل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، أول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة، حيث توفي في ٢٠٠٤/١١/٢ م.

obeikan.com

كنت في إدارة المرور بإمارة الشارقة لتجديد تسجيل سيارتي الخاصة ، وبسهولة ويُسر ونظام الحاسوب والدور والنظام المطبق على الجميع بمن فيهم أبناء الأسرة الحاكمة ، جاء دوري لإنجاز المعاملة بنظام النافذة الواحدة، وهناك سلمت أوراقي المطلوبة لإصدار ملكية السيارة ، فوجئت بالموظفة تقول لي بأدب:

- آسفة يا أستاذ، عليك مخالفة مرور بزيادة السرعة في إمارة أبوظبي بقيمة ٧٠٠ درهم.

قلت لها باستغراب وصدق:

- أنا لم أذهب إلى أبوظبي منذ سنتين، ولم تذهب سيارتي مع أي شخص؟!

- هكذا مسجل عندنا في صفحة سيارتك في الحاسوب ، ولن تنجز معاملتك إلا بعد الدفع، ثم قدم اعتراضاً ولا يضيع حقك إن كنت صادقاً - مع ظني بصدقك -

المهم دفعت على مضض وأنهيت المعاملة واتصلت عن طريق الهاتف والاستعلامات بمرور أبو ظبي وأعطيتهم رقم المخالفة الرادارية ، فردّ الموظف في الحال أن السيارة المخالفة رقمها ٦٠٢٧٨ الشارقة، وسيارتي رقمها ٦٠٢٧٩ الشارقة، فطلب مني صورة الملكية وصورة جواز السفر ورقم حساب بنكي ،

فأرسلت له بالفاكس ذلك بسرعة، وفي اليوم التالي، جاءتني رسالة من البنك على هاتفي المتحرك تقول: نزل في حسابك ٧٠٠ درهم من مرور أبو ظبي، ثم رن هاتفي فإذا برقم مميز ، استقبلت المكالمة فإذا برجل يقول:

- سيد عبد الرزاق، معك رئيس القسم المالي في مرور أبو ظبي ، نعتذر عن الخطأ وقمنا بإرجاع المبلغ على حسابك، لأن المخالفة ليست لسيارتك فهناك تشابه في رقم واحد وأُدخلت المخالفة بالغلط ونكرر أسفنا.

شكرت الرجل للطفه واطمئنانه على عودة الحق وإزالة الغلط. أجل أيها السادة ، بفاكس واتصال من بيتي رجع المبلغ مع الاعتذار.

هنا بيت القصيد، كيف استطاعت دولة ناشئة كالإمارات أن تصل هذه المرتبة في السرعة والحق والإنصاف واللطف والنظام وعمرها لم يصل نصف القرن بعد ؟! ونحن نتغنى بأمجاد من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد وحاضرنا حدث ولا حرج.

لقد صنع الشيخ زايد دولة عصرية في زمن قياسي ، ووحَّد المختلفين وقرَّب المتباعدين وأرسى نهضة علمية اقتصادية تعليمية طبية تقنية دينية تشمل مناحي الحياة.

متى نلغي الواسطة والرشوة والفساد والمحسوبية وأكداس الورق والطوابع والأختام والشكاوى الخطية والموظف الغائب واحتقار المواطن من الموظف والتمييز والعبث بوقته وقوته ومصالحه؟!

متى نجعل سعادته هدفاً يجب تحقيقه بدل من أن جعل سعادته واقعاً يجب إلغاؤه؟؟

ثمن السيارة هنا يعادل ثمن الدراجة النارية أو الثلاجة، علماً أن التاجر رابح والشركة الصانعة في اليابان وكوريا وألمانيا رابحة أيضاً، فلماذا ثمن السيارة عندنا في سورية يعادل ٢٥ ضعف ثمنها في الإمارات؟!!

خذوا الحكمة أينما وجدت، والسؤال اللاهب اللاهث الذي سأختم به:

"متى نصير كغيرنا إذا كنا خلف آخر الدول بثلاثين سنة؟! ثم بعد ثلاثين سنة هل سنصل؟ وهل سيبقى غيرنا مكانه دون تقدم لنلحق به؟ أنا - أرجو أن أكون مخطئاً - يائسٌ من الجواب... عزائي قول الشاعر:

بلادي وإن جارتْ عليَّ عزيزةٌ وأهلي وإن ضنّوا عليَّ كِرامُ

الشارقة ٢/١١/ ٢٠٠٩م

صالح للنشر

أحياناً تغار الحكمة من قوافي الشاعر ومنثور الكاتب، فتأبى إلا أن تطل برأسها خجولة من خلف عباءة الزمن، معترفة أن صاحبها غير جدير بتقديم النصيحة والأجدر به أن ينصح نفسه، لتقول لكم ولنفسي أولاً:

- أمس من الماضي والحسرة ، والغد من الحلم والأمل ، والفرصة الحقيقية هي اليوم، أجل، اليوم فقط.
- لا يلعب بالنار إلا الذين هم أول الهاربين منها عندما يشتدّ أوارُها.
- عندما يَختارْ الناس من يحكمُهم بمحبة ورغبة فسيكون الحاكم خادماً لهم ، وعندما يحكمهم من لا يرغبون فيه فسوف يكونون عبيداً له.
- ابتسمْ رغم الصعاب كي تنتصرَ عليها ، ولا تبكِ في الحزن كثيراً فهو يبدأ كبيراً ثم يصغر.
- ليس في ثغر النساء أنقى من ابتسامة أمّ حين ترى ابنتها قد صارت أماً.

- قلْ لي كيفَ تقابل إساءات الناس إليك أقلْ لك درجة عظمتك في سلّم الإنسانية.
- تبدأ الشيخوخة في النفس والجسم عندما نترك من الطعام ما نشتهي لنتناولَ ما هو المغذي أو غيرَ الضارّ فقط.
- يظن الشاعر أنه كلُّ شيء، وأحياناً يقتنع بأنه لا شيء، وبين الحالتين تولد أجملُ القصائد.
- يقولون وفّر قرشكَ الأبيض ليومِك الأسود، وأنا أقول وفر قلبكَ الأبيض لكلّ الأيام.
- كثيراً ما نعتقد أننا على صواب وغيرنا على خطأ، ويعتقد غيرُنا العكس، والحقيقة المرة هي أننا – ما دمنا هكذا - فجميعنا على خطأ.
- يدايَ ليستا يديّ، إنهما يدا قلبي، وكلماتي ليست من قبائل الأبجدية وعشائر المعاجم، إنها مفيض نهر محبتي وألمي.
- أخيراً: جرّبتُ في تنظيف العين كلّ المُطهّرات والمُعقّمات فما وجدتُ شيئاً ينظفها أكثر من دموع صادقة في الفرح أو الحزن ، وما وجدتُ شيئاً يديم نضارتها كرؤية الذين أحبّهم.

الشارقة ٢٠١٠/٤/٩م

عابرون

أجل أيها الأحبة...
لا بدّ مما ليس منه بدّ...

هي لحظة نعيش في انتظارها لتأتي مسرعة، وحين تقبل نرغب لو تأخرتْ، وبين الحالين تمر الأيام.

نعم لقد فرد النورس جناحيه المهيضين للسفر، وارتفعت في مآقي العين حرارة الدمع، وتجمدت في المحاجر آهات نشيج حرّى.

أودعتُ حقائبي بطن رفيقتي السيارة وصعدتُ للبيت، مصلياً مودعاً زواياه وأثاثه وحجراته، وقررت أن أودع المكتب بهذه الجلسة الأخيرة لأقول لكم وداعاً.

تمردت أزرار لوحة المفاتيح وتمسكت بأصابعي أن: لا تغادر، اعتلى صياح الكرسي متوسلاً أن لا تترك الفراغ رفيقي، سمعت أنين المزهرية وبوح الورق فما التفتُ.

رميت قلبي على بلاط البيت فالوقت ليس للعواطف بل للقرار وتدبير الحال، فهناك وما أدراك ما هناك من ينتظرني.

ستبقى أسماؤكم وتعليقاتكم وحروفكم وألقابكم محفورة على جدران القلب وفي حنايا الروح...

أتمنى لكم الإجازة الممتعة والهانئة والصحة والعافية ، لا تنسوني من صادق دعائكم بظهر الغيب أن يجعل الرحمن دربنا يسيراً ويهوّن عسيره ويطوي بُعده.

لكم تنحني مقامات الروح ويرفرف بيرق المودة، وفي ذكركم تلهج الألسنة. الأخوة والأخوات في الإمارات: كنت أشعر ومازلت أنكم أسرتي وأحبتي ، لكم كتبت وتنقلت في فيافي وجداني فرحاً وغصصاً ويوميات.

لكم فائق الشكر والمودة والعرفان بالجميل ، ولولا ضيق المجال لسردت أسماءكم جميعاً ، ويشهد الله كم أستعذب مرورها على لساني!

ستبقون في البال قصيدة ما كتبها أحد، وعلى ضفاف الحب الصافي رواية ما اكتملت فصولها، أيها المارون من هنا.

أيها العابرون من مسامات الجلد ونبض العروق ، أيها المترفون في الحرف والكلمات ، لكم ارتجاف أصابعي وهي

تودعكم، ولكم بوح أعجزه الصدق عن الخروج، ولكم نشيج الوجد والوجل الذي استبد في حواسي كلها. اذكروني بالخير فقد مررت من هنا، وآثارنا في بلادكم باقية...

ولئن كتب الله عودة سالمة ؛ ستروني بينكم كما كنت عند حسن الظن ، وإن دنت النفس من موردها الذي لابد منه فقولوا: لقد مر من هنا عابر سبيل وراح...

أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وإنا وإياكم في روض المودة الصرفة والمحبة في الله لمجتمعون...

أجل أيها الغوالي، هذا زمان العابرين...

إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإني على ابتعادي عنكم لمحزون.

وهناك في وطني خلف مفازات الصحراء سأذكركم بالخير والعرفان بالجميل. وبين سوريا والإمارات سيبقى حبل الوصل دافئاً مشدوداً غير مقطوع.

عجمان ٢٠١٠/٧/٥م

obeikan.com

عاجل إلى أبي العلاء المعري

سيدي شيخ المعرة الجليل

يا رهين المحبسين وصاحب البصيرة النافذة...

يا من ألزمت نفسك ما لا يلزم في النظم والنثر فأبدعت اللزوميات الفريدة ، ويا من تعديت بخيالك الخصب دنيا الناس إلى الآخرة فنصبت الموازين وحاكمت الشعراء في رسالة الغفران ، وتركت ملذات الدنيا للعلم والأدب والشعر والحكمة والفلسفة واللغة فأكسبت المعرة شهرة فريدة، أجل هي معرة النعمان لكنها معرتك.

لكنك أيها المسكين لا تعرف كثيراً مما يجري حولك ، لقد وقفتُ بجانب تمثالك في المعرة ذات ليلة وبكيتُ حتى ظن الحضور أني مجنون ، أجل بكيتُ يا سيدي لأنهم استغلوا ساحتك المجاورة لنصب منصة كي يغني عليها أحد المطربين ساعتين مقابل نصف مليون ليرة سورية، في ليلة صيفية غاب قمرها واستنفرت كل القوى الحكومية والشعبية لتنظيم

الحفل وتسلق بعضهم تمثالك ليحظى بنظرة لذاك المغني، وأنا على ثقة أن الآلاف المحتشدة حولك لا تحفظ لك بيتاً من الشعر يا سيدي.

واليوم هل تعرف ما جرى حولك يا شيخ المعرة؟؟

بداية اسمح لي أن أعلمك بعضاً من مفرداتنا العصرية التي لم تكن في زمانكم:

المندسون: جمع مفرده مندس، من الفعل دسّ أي أدخل الشيء خلسة، والمضارع يندسّ واسم الفاعل مُندسِس وبدغم الحرفين تصبح مندسّ وهي عبارة تطلقها الحكومة على من يطالب بحقوقه وتصمه بالتآمر مع الخارج ضد الوطن، مع يقيني أنه لم يغادر قريته طول عمره.

الشبّيحة: جمع قلة مفرده شبّيح وهو صيغة مبالغة من صاحب الشبح، أي الإنسان المجهول الهوية الذي يعيث في الأرض فساداً دون أن يعرفه أحد.

الأمن العسكري، الأمن السياسي، الأمن الجوي، الأمن الجنائي، الأمن الخارجي، الأمن الداخلي، الأمن الاقتصادي وغيرها: هي مجموعات حكومية لحفظ أمن الوطن حين يتعرض للخطر وكلها لها مفارز حول تمثالك وقبرك، لكن رغم كثرتها لم

يعد هناك أمن حيث المقصد المكتشف أخيراً هو أمن الحكومة وليس أمن المحكومين.

سيدي أبا العلاء: هل سمعت بشعار: الشعب يريد إسقاط النظام؟ أم لم يكن على زمنكم مثل هذه الشعارات؟؟

أتذكر يوم حاصرت قوات صالح بن مرداس المعرة لتركيعها في القرن الرابع الهجري، وحين أحكم الجند حصارها أتاك أعيان المعرة لتخرج معهم وتتوسط بمكانتك وهيبتك كي تنقذ بلدتك من دمار محقق، فلم تكسل واصطحبوك يقودونك، وحين رآك الجند قالوا لقائدهم إنهم يأتونك بأعمى، فقال القائد:

- ليتهم لم يحضروا أبا العلاء.

وهناك أنشدتَ بين يديه معتذراً أن مقامك دون مقامه وأنك صاحب كلام وهو صاحب سيف وقلت له:

- ستسمع مني هديل الحمام وأسمع منك زئير الأسد.

فخجل ابن مرداس وقال لك:

- أيها الشيخ بل أنت الذي تسمعني زئير الأسد فأصبحت سيوفي كهديل الحمام، اذهب يا أبا العلاء فقد وهبت المعرة لك.

وغادرَ بعد فكّ الحصار عن المعرة.

تراهم يفقهون قولك ويسمعون صرختك الآن ، وقد جرى الدم كأمطار الربيع حول قدميك ، أما رأيتهم يا أبا العلاء وهم يتساقطون حولك كثمار الزيتون المعري الناضجة؟؟ هل سألتَ عن الجرحى؟ وأمهاتهم وأهليهم؟

أما شعرت بالألم حين أصابتك رصاصة في الصدر من تمثالك الصامت، وكأنك تشارك في تظاهرات الحرية؟ لقد أسعفوا كل الجرحى إلاك ، وحسناً فعلوا حين لم يسعفوك ، لأن الجرحى اختفوا من أسرّة المشافي، ونحن لا نريدك أن تختفي.

أظنهم لن يكتفوا بطعنك وربما أعدموك ميدانياً ذات يوم ، فالحرب كالجراد لا تبقي ولا تذر ، وحيث كان الفاعل الآثم فنحن الخاسرون يا صاحبي...

سيدي أيها الشيخ الجليل: اسمح لي أن أختلف معك ، فأنا أحب النساء جداً وأحب أن ألد أطفالاً من الجنسين ليعمروا الكون ويشاركوا في هتاف الحرية ، وإذا كنتَ قد أوصيت أن يُكتب على شاهدة قبرك:

هذا جناهُ أبي عليّ وما جنيتُ على أحدْ

فقد تزوجتُ إحدى قريباتك وأنجبتُ منها البنين والبنات وقلتُ لكَ حين وقفت على قبرك:

هذا جناهُ أبي عليّ وأنا جنيتُ على الولدْ

الشارقة ٢٠١١/٥/٢٨م

obeikan.com

على هامش الدم

في زمن الكوارث الوطنية وطغيان اللون الأحمر على ما سواه من ألوان تصبح الابتسامة خطيئة، والضحكة كفراً، والطرائف خيانة للوطن، ولكنها مفارقات على هامش المذبحة، حيث يؤلمنا سفك الدم البريء الطاهر لمواطنين مدنيين، وعناصر الجيش والأمن، باعتبارهم في المحصلة أبناء وطن عزيز غالٍ أحببناه وسنبقى نحبه بحلوه ومرّه ما نبضت في العروق دماء، ومن ذلك:

- ردّاً على شعار الشعب يريد إسقاط النظام، يقف الحاكم على شرفة قصره متأملاً الملايين والجرحى والقتلى والنازحين ويهتف بعالي الصوت: الحاكم يريد رحيل الشعب.
- بعد مشاركة طائرات عسكرية عمودية بقصف الشوارع من الجو وقتل المتظاهرين، سألت نفسي: ماذا لو امتلك هؤلاء الحكام أسلحة غير تقليدية، هنا عرفت لماذا لا يسمحون

في العالم الديمقراطي أن تمتلك الدول الديكتاتورية أسلحة دمار شامل.

ملحوظة إضافية (لقد استخدموها لاحقاً)

- محلل سياسي من أنصار النظام يتندّر ويقول: مندسّ تزوج متآمرة فخلّفوا شاهد عيان.
- خلال التنصّت على المكالمات الهاتفية من قبل أجهزة الأمن التقطوا عبارة: (أريد إجراء عملية التفجير في العاصمة حيث الأمر أسهل وأرخص) ، ولدى تتبع رقم المتكلم اعتقلوه واقتادوه للمجهول ، ولم ينفعه القسم بالله والتقارير الطبية أن لديه حصوة في الحالب ويريد إجراء عملية جراحية لتفتيتها وما يزال الرجل مجهول المصير.
- حين ضاق الرجل ذرعاً بتصرفات زوجته السليطة، فكر في التعبير عن رغباته المكبوتة بشعار عصريّ منتشر، فانتظر اجتماع أهله وأهلها وانفجر صارخاً بكل قوة: الزوج / يريد / تبديل المدام، الزوج / يريد / تبديل المدام...
- تقدَّم أهالي إحدى المدن المعروفة بالظرافة والنكتة بشكوى عاجلة لمقام الحاكم، يعترضون فيه على سحب الدبابات الجديدة من شوارع مدينتهم ووضع دبابات قديمة

متهالكة مكانها، الأمر الذي اعتبروه إهانة شخصية لهم واستهانة تذلُّ سمعتهم بين الناس.

- في وقت جريان الدم وامتلاء المدارس بالمعتقلين، وآلاف الجرحى دون علاج وعشرات آلاف النازحين، والطوفان البشري المنادي بالحرية، يخرج الحاكم عن صمته ليقول: علينا النظر في تشكيل لجنة لدراسة مقترحات ثم وضع تصورات ومناقشة ماهية الخطوات المطلوبة بحيث نصل إلى نتائج نستطيع من خلالها معرفة إلى أين نحن نسير...
- اتهم المواطنون في المدن والقرى النظام بسوء التوزيع وعدم العدل بينهم في توزيع المكرمات، فكيف يخصص لمدينة كبيرة خمس دبابات، ولمدينة صغيرة نائية خمسين دبابة؟ وكيف يرسل للعاصمة كتيبة مشاة فقط، ويهدي لمدينة صغيرة سرباً من الطائرات لتقصفها من الجو؟!
- خلال شق طريق بجانب بيتنا رأيت كم استغرقت الجرّافات من الوقت والجهد حتى أزالت كومة من الحجارة وسوّت الأرض، فاستغربت وتخيلت كيف سيحوّل أحد رجال النظام جبلاً مشهوراً مساحته آلاف الكيلومترات المربعة وسكانه مئات الآلاف، إلى سهل خالٍ.

• حين علم صديقي الساخر الذي يحب الأنوثة بزيارة نجمة السينما أنجيلينا جولي لمخيم لاجئي إحدى الدول إلى دولة مجاورة قال بمرارة ساخرة: آاااه! ليتني كنت لاجئاً.

الشارقة ٢٦ / ٦ /٢٠١٧ م

obeikan.com

قلوب للإيجار

حين تتخشب جدران الفؤاد ويعلوها الصدأ، نبحث عمن يجعلها نابضة لامعة...

فلا يظننَّ أحدٌ قلبه ممتلئاً تماماً...

في نفس كلّ منا زوايا تبقى فارغة تبحث عمن يملأ فراغها وتتبعثر في متاهات الدروب علها تجد مرادها، في لوحة، في خاطرة، في قصيدة، في شخص، في عمل نافع...

مساكين هم الذين امتلأت ساحات قلوبهم فلم يعد عندهم متسع لجديد، ولا فضول لقادم، ولا تطلع لخطوات أخرى، حينها يتحول امتلاء قلوبهم إلى روتين وفراغ ودائرة مغلقة تتطابق نقطة بدايتها مع نقطة النهاية.

والقلوب كما المساكن، يقطن فيها أهلها الحقيقيون فيدارونها ويحافظون على نقائها، وأثاثها وأبوابها ونظافة جدرانها ومرافقها، فإذا حلّ بها مستأجر عابر أو قاطن دخيل أو متطفل مستغل لم يهمه منها إلا تحقيق المأوى والمبيت،

فيعيث فساداً في جنباتها ويشوّه جمالها ويحيل أناقتها إلى فوضى لا ترضي ناظراً أو سامعاً.

هنا على شارع الحياة ودوّار الصفاء يقع قلبي الصغير في حجمه ، الواسع في سكناه واتساعه ، سأفتح أبوابه لأهله الحقيقيين المخلصين الأوفياء ليستظلوا شرفاته ويتنشقوا عبق وروده ويتنعموا بنثره ونظمه ويحافظوا على توازنه وانفعالاته وثورته وهدوئه.

وعندما لا أجد من يستحق ذلك سأبقيه مغلقاً خالياً يبني العنكبوت في زواياه ، وتسكن الغبار سطوح أثاثه ، وتنتشر رائحة الفراغ في أروقته ولست في ذلك من النادمين، أجل لن أندم فقد تعودت أن أشرب الزلال أو أبقى ظامئاً، وأن أرتقي القمة أو أبقى في القبر ، وأن أزرع الورد أو لا أقبل بمهنة المزارعين.

لن أرفع لافتةً في الطريق تقول للعابرين والراكبين والمشاة تعالوا استأجروا قلبي وفق سوق العقارات الرائج ارتفاعاً ونزولاً. كم أرثي لحال من يتسوّلون حباً زائفاً، وإعجاباً عابراً، ومشاعر للمجاملة لا للبقاء؟ فهم يشبهون من يحاول تأجير قلبه.

لا، لا، في زمن تأجير المشاعر والعواطف والأحاسيس ليس قلبي للإيجار أبداً.

الشارقة ٢٥/١١/٢٠١٠م.

obeikan.com

لن أكون معلماً

حين نجح ولي عهدي في الثانوية العامة جلست معه جلسة الصديق، فاتحاً له صدري موجهاً إياه لقولٍ ما في نفسه، بإلغاء حاجز الأب والابن؛ لاختيار طريق المستقبل، فقال ما معناه:

والدي المفدى، أنا أقدر فيك النبل الفريد والتضحية العظمى، وأكبر فيك سنوات عمرك التي أفنيتها في الدراسة والبحث والخدمة المخلصة للغة العربية، كما أعتز باسمك ومكانتك الأدبية والاجتماعية بين الناس.

والدي الغالي: أعرف أن طلابك يتناثرون كالنجوم في كل مكان يذكرون جميلك وأفضالك عليهم، ويحلفون بالله ما مرّ عليهم شخص بطيبك وذكائك وتمكنك من مهنتك، ومادتك وقوة شخصيتك واعتدال معاملتك ومرح روحك.

والدي الطيب: أعتز بأن في بيتنا غرفة مستقلة للمكتبة التي جمعتها طول عمرك - مدَّ الله فيه - وعلى جدرانها تزهو شهادات الشكر ودروع التقدير...
لكن أيها الحبيب الأثير اعذرني فلن أصبح معلماً مثلك...
حدقتُ في عينيه الجميلتين فنكس رأسه خجلاً وقد شعر بأنه جرحني، فقلت:
- لماذا يا ولدي؟
قال:
- ببساطة انظر إلى أية مهنة أخرى تجد دربها قصيراً لا يحتاج لعناء الدراسة ، ومستقبلها مضمون وطموحاتك فيها تتحقق بلمح البصر ، ويتدفق عليك المال من حيث لا تحتسب، ولا أحد يسأل عن غيابك أو تأخرك، ولا يرهقك مدير ولا وكيل ولا طالب ولا ولي أمر، ولا تبقى مكانك راوح طول العمر، ولا يكون تعويض تقاعدك لا يسمن ولا يغني من جوع... ولا تنساك الحكومات والوزارات عندما يتحقق النجاح على يديك ، ولا يتهمونك بالتقصير عند حدوث أزمة تربوية، فكأن لنجاحك مائة أب، أما الفشل فيلصقونه بك كأنه لقيط رموه عليك...
انعقد لساني وقلت له:

- هكذا إذاً؟؟

قال بخجل:

- أجل أيها الوالد العزيز وإن كان لديك جواب يقنعني بغلط كلامي، وتدافع به عن واقع حالك؛ فافعل...

حتى الآن لم أردّ عليه، وقد اختار طريقاً جديدة غير درب أبيه...

قلت في نفسي: العلم غالٍ والأدب أغلى وليس تحصيلهما سهلاً لكنهما الباقيان في الحياة وبعد الموت...

الكرة في مرماكم لتسعفوني في الدفاع عن واقعنا ومهنتنا حيث أستنصركم عليه فهل من نصير؟.

الشارقة ٢٠١٠/١٠/٢٩م

مجرد فكرة

اعتدنا في حياتنا العامة والمهنية على متلازمات لا تنفك عن بعضها، وجاءت في علم البديع تحت مصطلح: المصاحبات اللغوية، وهي وجود مفردة تتطلب مفردة أخرى ملازمة لها كقولنا:

تلاوة، قرآن...

حقائب، سفر...

خياط، ملابس...

المرأة، نصف المجتمع (طبعاً في رأيي الشخصي كل المجتمع).

أما المصاحبة اللغوية التي سأطرحها في مقالي المختصر فهي:

المدرسة: الجرس

أنا شخصياً أطلق على الجرس لقب: هادم اللذات ومفرّق الجماعات، أي نفس كنية الموت - أمدَّ الله في أعماركم - حيث أكون مستريحاً فينبهني إلى انتهاء وقت الاستراحة وبداية حصة ثقيلة على القلب، وربما تركتُ بسبب صوته فنجان

obeikan.com

قهوة يعلو بخاره المعطر لينشر عبق اشتهائه، أو كأس شاي ساخن لم يبرد بعد، أو حديثاً ممتعاً مع الزملاء، أو ابتسامة خرجت من القلب لترتسم على الشفاه كأنشودة راعٍ، أو ربما قطع علي سلسلة تفكيري خلال إبداع نص نثري أو شعري، أو أفسد علي - أنا ابن ما يربو على الأربعين - حلماً ورديّاً من أحلام اليقظة أو... أو... ويغدو موقفي منه كموقف طلابي الذين يتمنونه لنهاية الحصة وبداية الفسحة، ولا يرغبون فيه إذا أنهى الفسحة وبدأت الحصة على رأي الشاعر أحمد شوقي:

لهم جرسٌ مطربٌ في السراح وليسَ إذا جـــدّ بالمطربِ

وبما أنه لا يمكن للمدرسة ونظامها التربوي الزمني أن تسير من دون هذا الجرس؛ فقد تطور من الصافرة العالية قديماً إلى الجرس اليدوي الكبير، ثم الجرس الكهربائي متعدد النغمات الذي يضربه أحد الإداريين أو المعلمين المناوبين، إلى الجرس الإلكتروني المبرمج وفق بدايات ونهايات قابلة للتحكم الآلي فيها.

وهذه دعوة لاستمطار الأفكار من مخيلات القراء عساهم أن يجدوا طريقة للتنبيه غير الجرس، علماً أن الاقتراح المعقول سيأخذ طريقة للتنفيذ.

مجرد فكرة قد تأتي بحل يريحنا من صوته الذي أزعجني ذات يوم أكثر مما ينبغي، فرجوت الوكيل تأجيل حصتي كي لا أقطع أنساً كنت في فضائه، وأُحرَمَ متعة لا أريد التفريط فيها، فاستجاب لرغبتي مشكوراً.

ما رأيكم بمدارس من دون أجراس؟؟

الشارقة ٢٠١٠/٣/٣٠ م

obeikan.com

محضر اجتماع سِرِّي

في سراديب الخفاء التقى بعض أصحاب الكراسي الوثيرة المرموقة، وحين بسطوا الحديث استنتجوا أمرين: أولهما أنهم ما عادوا مرغوبين من محيطهم البشري، وثانيهما أن هذا المحيط البشري قرر كسر حاجز الصمت والتعبير عن رغبته بتغييرهم.

وخلال اجتماعهم توصلوا لعدة نقاط وتوصيات، استطعت بطريقتي الخاصة التقاطها من محضر اجتماعهم السريّ، وسأنقلها للقراء الكرام:

أولاً: إلغاء يوم الجمعة وحذفه من التقويم الهجري والميلادي لأنه مناسبة لإطلاق الشعارات والتظاهرات، وسيكون مرور الأيام كالتالي: الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، السبت، الأحد فقط، ومن يعترض فليحرث البحر.

ثانياً: إدانة الياهو والهوتميل والفيس بوك والماسينجر وشركات الهاتف الجوال والسكايب والتلجرام والسناب شات بأقذع الألفاظ، لأنها خارج حدود السيطرة الإعلامية التي نمارسها.

ثالثاً: إلغاء الساحات العامة والميادين الواسعة في المدن والعواصم ، والاكتفاء منذ الآن بجعل المخططات التنظيمية شوارع ومساكن و(زنقات) كي لا يستغلها الرعاع لتعكير أمننا بتجمعات وهتافات غير حضارية.

رابعاً: تقديم رشوة سخية لمجلس الأمن ومنظمات حقوق الإنسان وحلف الناتو والفاعلة دولياً ؛ لسكوتها عن القمع وعدم فضحها لعلاقتنا برعيتنا.

خامساً: عدم الترخيص لأي مراسل وكالة أنباء أو محطة تلفزة والاكتفاء بما تقدمه المحطات (الوطنية) من تطبيل وتزمير لنا فقط.

هذا والله الموفق للحفاظ على ماء وجهنا قبل الرحيل القسري داعين الله أن ينادينا مواطنونا بالرئيس السابق ، وليس بالرئيس المخلوع أو المقتول.

التوقيع: عاشقو الكراسي الوثيرة.

صورة إلى:
- من سيأتي بعدنا
- نظرائنا المحبوبين من رعيتهم.
- الأرشيف السري.

الشارقة ٢٠١١/٥/١٥م

مخارز لعيون جميلة

قالوا : العين لا تقاوم المخرز
لقد انتصرت كثيرٌ من العيون على المخارز ومن ذلك:

١- عيون بنيّة عسلية :

هذه العيون لامرأة أعرفها ، توفي زوجها في حادث سير ، مخلفاً لها ثلاث فتيات، عمر الكبيرة منهن دون العشر سنوات وجنيناً في بطنها وفقراً وقلة حيلة ، وبعد عشرين عاماً من الكد والتعب ورفض طلبات الزواج بعد الفقيد، ها هي تملك بيتاً فخماً ودكاناً يدر عليها الرزق الحلال وثلاثة أصهار ، أما الجنين السابق فقد أصبح شاباً متزوجاً يداري على أمه وأخواته، تحيتي الأولى لعينيها العسليتين.

٢- عيون خضراء عشبية :

شابة تسكن مع أهلها على أطراف قرية ريفية ليس فيها ماء ولا كهرباء ولا مدرسة ، لكنها تعلمت في القرية المجاورة

obeikan.com

ونظمت وقتها بين الحقل ورعاية الغنم ومساعدة الأم في المطبخ والدراسة على قنديل الكيروسين والشمع ، فنجحت بتفوق بالمركز الثاني على محافظتها ، وهي الآن طالبة سنة أولى في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية في جامعة حلب، تقديري لعينيها اللوزيتين.

٣- عيون سوداء لوزية :

شاب مصاب بفيروس خطير بالدم ولم ينتبه أهله لذلك ، فضرب الفيروس إحدى عينيه ثم سلب نور الثانية فأصبح أعمى تماماً ، وتعلم بالاستماع تجويد القرآن الكريم والفقه الإسلامي واللغة العربية في أحد المعاهد الشرعية ، الآن هو أب لثلاثة أطفال وخطيب وإمام مسجد كبير في منطقته ويحفظ القرآن الكريم غيباً ويحل مشكلات المتخاصمين برضا وعدل وسرعة أفضل من محاكم الدولة، قبلاتي لعينيه المنيرتين السوداوين.

٤- عيون زرقاء بحرية :

صبية كالوردة النضرة وعيناها كالبحر الهادئ فيها من الأنوثة ما يخصب الصحراء، ومن الجَمال ما يحرك الحجر، أراد أهلها

تزويجها (بيعها) لأحد الأثرياء من كبار السن، وقبل الأهل بالصفقة طمعاً في الأرصدة والهبات وارتفاع الأسهم وبريق الذهب، متناسين سعادتها ورغبتها ومستقبلها، فعصت أمر والدها والتجأت لبيت خالها، الذي عرض شكواها للقاضي، فهددت بالانتحار إن أصر أهلها على بيعها رقيقاً أبيض في سوق النخاسة (النجاسة) تحت اسم الزواج، وصرحت بحبها لابن خالتها الذي تقدم لخطبتها من خالها بحضور القاضي، الأمر الذي دفع أباها للتراجع عن خطئه، وهي الآن عروس في بيت ابن خالتها تبني أسرة على المحبة والبساطة والتكافؤ، محبتي لعينيها الزرقاوين.

٥- عيون لن أنساها ليس كمثلها عيون:

امرأة تحملت المرض والعلاج خمسة وعشرين عاماً، بعد أن أنجبت وربت خمس بنات وستة شباب وكلهم وكلهن ناجحون وناجحات في حياتهم، وتزوجوا ورأت أحفادها منهم ومنهن، أحست أنها ستموت وأن العمر أشرف على الغياب، فجمعت أبناءها وبناتها وأصهارها وأحفادها (وقد أصبحوا قبيلة) وطلبت منهم السماح وأوصت بالمحبة والأرحام وأوصت زوجها، ثم أسلمت الروح إلى بارئها وعلى ثغرها

ابتسامة رضا وعلى عينيها كلام لم يخرج لكني قرأته جيداً فعاهدت ربي ونفسي أن لا أنساها ما نبضت في العروق الدماء، رحمة الله عليك يا أمي، وتحية لعينيك اللتين لا تنسى أبداً.

عجمان ١١/٤/ ٢٠١٠م

opeikan.com

مساقط

في حياة كل إنسان أحداث مفصلية وتواريخ تبقى جزءاً من عالمه الخاص العام، ومنها عدة أحداث على شكل مساقط:

مكان: مسقط: مدينة ساحلية جميلة وهي عاصمة لسلطنة عُمان الشقيقة وهي ليست معنية بموضوعنا هذا...

أولاً : مسقط الرأس:

هو مكان ولادة الإنسان المعلوم لديه، ورؤيته النور لأول مرة في الدنيا، وهو المشار إليه في الأحوال المدنية بمكان الولادة، وهو ما يرافق الإنسان في بياناته طيلة حياته.

ثانياً : مسقط القلب:

وهو المكان الذي خفق فيه القلب وأحب، وقد يكون المكان مرتبطاً بشخص فيكون مسقط القلب شخصاً أو مكاناً يبقى الحنين إليه ما نبض الفؤاد.

obeikan.com

ثالثاً : مسقط الجثمان :

وهو مكان دفن الإنسان بعد موته وهو مثواه الأخير إلى يوم يبعثون ويكون مجهولاً من قبل الشخص ، وقد لا يحظى الإنسان بهذا المسقط فيموت في مجاهل البيداء أو أعماق البحار أو غياهب المجهول فيكون محروماً من مسقط النهاية...

رابعاً : مسقط الندم :

وهو مكان ارتكب فيه الإنسان فعلاً ندم عليه طول حياته وجعل حياته تتغير بفعل ذاك الذنب ، وغالباً ما يكون هذا المسقط غير مرغوب بالتذكّر...

قد تتعدد المساقط ، وقد تكون المساقط الأربعة هي نفسها فتتجّمع في مكان واحد...

آخر همسة: لرأسي مسقط كم أحبه وأشعر بالحنين له ولساكنيه! وأتمنى أن يكون هو نفسه مسقط جثماني ، وإلا سأشعر بالغربة من يوم وفاتي حتى يوم الدين...

منقول:

بخصوص مسقط القلب: فبورصة المحبين في صعود وهبوط، وفي هذا المجال سأتكئ على أبيات لأمير الشعراء أحمد شوقي الذي قال:

هجـــرْتُ أحـــبّتي طوعـــاً لأني رأيت قلوبَهمْ تهـــوى فراقـــي
نعم، أشـــتاقهمْ جـــدّاً ويرقـــى علوّ كرامتي فـــوقَ اشـــتياقي
وأرغبُ في وصـــالِهمُ ولكـــنْ طريقُ الذُلِّ لا تمشـــيهِ ســـاقي

دعـوة:

هل وقف خاطركم يوماً عند تلك المساقط؟
فكر في مساقطك جيداً.

الشارقة ٣/٥/ ٢٠١٢ م

منطقة محايدة

كثيراً ما أتخيلها بجانبي فأناجيها قائلاً:

- سألتِني ما وجه الشبه بين قصائدك والقهوة، كلاهما يا سيدتي يجلبان السهر.
- قلتِ لي إنكِ مثل نوارس الشمال تزورين وطنك كل صيف، أما أنا فمنذ عرفتكِ مازلتُ أبحث عن طريق يوصلني إليكِ.
- اعترفتِ أنكِ تجيدين الرسم والكتابة والموسيقى والشعر والياسمين، عجباً كيف نسيتِ أن تجيدي السير على خارطة طريقي؟.
- اعترفتِ أنك تخافين الجو والفضاء والغيوم ومصباح علاء الدين وأسفار سندباد وفتوحات الإسكندر، وصوت المطر وعزف الناي وزبد الموج، فكيف ستكتبين لي رسالة وأنا مزيج من كل أولئك الذين تخافين منهم؟

- قلتِ لي إنكِ عند لفظ اسمي بشفتيكِ ، ورغم الثلج والصقيع ورياح القطب الشمالي وجليد سيبريا فإنك تشعرين بالدفء، فلماذا نسجت الجدات أردية الصوف؟
- امسكي هاتفك النقال واضغطي رقماً تحفظينه جيداً ثم قولي لي: مرحباً، ثم تذرعي أن الرقم غلط وتأسفي وأغلقي الهاتف، ستسعديني جداً ولن تخسري شيئاً.
- اعلمي أنك مع وطني أجمل شيئين في الوجود ، ولكنهما أكبر مصدرين لألمي وعذابي.
- اعترفتِ لي مرة أنك أذنبت بحقي، إذا كان الله اسمه الغفور والتواب فلماذا لا تنسين ذلك؟.
- تسألين لماذا تكتب؟ لأن القدر المغلقة تنفجر إذا لم يتسرب منها بخار الاحتراق.
- عندما سأرحل عنكِ سآخذ في حقائبي كل ما أحتاجه ، فلا تنسي أن تضعي مع محتويات حقائبي سلعة تدعى الصبر.
- أعترف لكِ أني حريص على كل شيء في حياتنا، إلا أن هناك شيئاً يضيع منا رغم حرصنا، إنه الزمن.

- شكوتِ لي صداع الرأس والتهاب اللوزتين ومغص البطن وروماتزم المفاصل وزكام الأنف وارتفاع السكر وغير ذلك، عجباً هل جربت وجع القلب مثلي؟.

الشارقة ٢٣ / ٢/ ٢٠١٠ م

obeikan.com

نبضات شامية

أيتها الشام، يا شامة على خد الزمن وابتسامة في ثغر غانية، يا مهد المحبة ووطن الياسمين، يا كل التاريخ يا روعة الحاضر ويا أجنحة الحلم الآتي، يا قبور الصالحين ونهر القهوة، يا كلمة الصامتين وصمت الناطقين، أحبك بكل اللغات، وأعشقك بكل معاني الأبجدية، يا من ذاتك تذوب في صفاتك، وجودك هو وجودك ماذا دهاكِ؟ يا سيدة المدن، ونثار الفرح وسمفونية الحب الأبدي...

يا شام من أدمى ياسمينك الطاهر؟ ومن فرط تويجات خزاماك، ومن روّع جوريّك الشذيّ؟ من حرك عظام أبي الدرداء وتاج الأمويين الذي لم تبلِه عاديات الزمن؟

يا شام من ثلّم سيف الناصر صلاح الدين؟

أرصفتك دماء وحدائقك رائحة موت، ومساكنك أقبية خوف، ونوافيرك صامتة في الربيع...

يا شام من اقتلع غوطتك؟ ومن جفف أنهرك السبعة؟ وسرق الكحل من عيون غيدك العذارى؟ واغتال البسمة على شفاه صباياك الحسان؟

دمشق من ذبح عصافيرك وهي تنظر للفجر وتغني للندى والغصون؟ ومن سربل مآذنك السامقة بالسواد؟ ومن أخرس أجراس كنائسك الرنانة؟ أي قزم هذا الذي يحاول تسلق قاسيون، وأي قحطٍ هذا الذي يحاول منع المطر عن خديك؟

يا ملاعب المجد ويا أنثى تختصر النساء... يا صهوة العز وريحان الأصابع الناعمة... يا يا ويا شاااااام.

لأبناء الجشع والطمع وأبناء السفك والفتك وشاربي الدم وكاسري العظم شامهم التي يريدون ، ولي ولكل السوريين شامنا التي نحب...

لقاتلي الربيع والحياة والأمل شامهم التي يرسمون ولي شامي...

لمصاصي الدماء وعاقي الآباء شامهم الحزينة ولي شامي...

حين غضب جبران خليل جبران من أخطاء وطنه لبنان انزوى وقال: لكم لبنانكم ولي لبناني... وها أنا يا شام أقسمك بيني

وبين من يريد بك الشر ويتربص بأهليك الدوائر أقول: لكم شامكم ولي شامي.
لكن المشكلة أنك واحدة لا تقبلين القسمة ولا تعرفينها، أنت يا شام لا تجيدين من العمليات الحسابية إلا الجمع والجذر فقط، ولا تعرفين من الجغرافيا إلا ما يوحّد فقط، ولا تعرفين من المشاعر إلا الحب فقط.

أيتها الشام:
سلامٌ لعينيكِ قبل الرقاد وعند طلوع الفجر...

سلامٌ لاسمكِ يا مشتهى النفس يا ليلتي، يا قمر...

سلام عليك، ومنك، وفيك، وحولك، فوقك، تحتك، يا ترى ما الخبر؟.

سلام...

دبي ٢٠١١/٤/٢٧

أجل! عددتُ نقاط المطر

أشتاقكِ بشكل تعجز عن الإحاطة فيه كل قوافي الشعر وأوزانه، وتخجل منه كل معاني النثر في عنوانه، وتنحني له كل ظلال الرسم في ألوانه.

أقرأ ملامح وجهكِ الغائب في وجوه العابرين وأطياف الصور التي أتخيلها وأحاول رسم بعض تقاسيمه فأعجز وتصطدم مشاعري بحواجز الممنوع وغياهب المجهول فأكتفي بتجرع غصص الشوق.

أتخيل ألوان ثيابكِ وصرير قلمك الناطق وحديقة ألوانكِ بفراشاتها وعصافيرها والندى الذي تقاطر من تويجات الورد صافياً بريئاً كدمعة يتيم يوم العيد.

تحاصرني كتائب اسمكِ وعساكر رمزكِ وأتقلب على جمر الغضا لأفك طلاسم كيانك الذي اقتحم وجودي دونما تخطيط أو استعداد، أو دليل يفضي إليكِ، فكيف لي - وأنا الشاعر الثائر المتمرد - أن أتحرَّر وأعلن حريتي؟! أو أستسلم - وأنا الذي ما نُكِّسَتْ راياتي من قبل - لأعلن انهزامي أمامكِ؟!

أراكِ في لوحة مفاتيح حاسوبي وشاشته، وفي ورقتي البيضاء وفراغها، وفي سبورة درسي وأفكاره، أتخيلكِ في أغصان الشجر وابتسامة القمر ، وأسراب السيارات على الأرض وهجرة اللقالق من القطب إلى خط الاستواء.

أتعبني غيابكِ وأحرقني لهيب الانتظار، فمتى يا صبابة الروح تأتين؟ وكيف يا نسغ الوريد نلتقي؟

جلست أرقب أمطار يوم الأحد ٢٠٠٩/١٢/١٣م من نافذتي، فخطر لي خاطر غريب عجيب:

تخيلتكِ جانبي فأردتُ التعبير عن شوقي وحاجتي بالشعر فخانني...

ناشدتُ النثر فهرب عاجزاً كسيراً...

استعنتُ بالألوان فكانت كلها باهتة...

لا أدري كيف قلتُ لكِ بعفوية:

أرأيتِ مطر هذا اليوم؟؟

تخيلتكِ قلتِ: نعم! ما به؟؟

قلتُ: تخيلي عدد قطراته من الصباح حتى المساء ثم تخيلي مساحة الكون كله عندما تهطل عليه.

قلتِ: تخيلتُ - رغم الصعوبة - فلماذا؟

قلتُ وقد شعرت بانتصاري على الشعر والنثر معاً: أشتاقكِ عدد القطرات التي نزلت على الكون كله بل أكثر، أجل لقد عددْتُ نقاط المطر.

الشارقة ٢٠٠٩/١٢/١٣م

obeikan.com

همسات ليست للنسيان

■ **سهرة**:

في آخر السهرة العامرة كانت عباءتها المطرزة تشهق وشيلتها المعطرة تبوح ، والأصوات تتداخل وأصوات لملمة الأكواب ترن... وحدي كنت أشهق وأبوح وأرنُّ بصوتٍ لا يسمعه أحدٌ سواي.

■ **ضجيج**:

حين دخل الليل رُبعه الأخير هدأت المدينة، أغمضت نوافذ النور عيونها ، قلَّت السيارات الراكضة ، سيطر الصمت في الشوارع ، تمخض رحم الليل عن يوم مولود جديد ، كنتُ الوحيد على نافذتي أراقب البحر وأغرق في الضجيج.

■ **ورد**:

كم كنت أحب الورد وما أزال! بألوانه وأشكاله وشذاه، لكني تراجعت عن حبي الأعمى له حين كنت بين جموع المشيعين

لأحد الشهداء من أصدقائي، أخذت باقة الورد بقسوة من على النعش ونثرتها أرضاً بغضب فداسها المشيعون دون أن ينتبهوا لأنهم مشغولون بما هو أكثر أهمية.

- **وطن**:

أول ما أراه في وطني حين أزوره هازئاً بالمخاطر هو وجه ضابط الجوازات الذي يحملق فيّ وفي جواز سفري كأني مجرم، وآخر ما أراه في وطني هو نفس المشهد لكن النظرة تختلف لي كأني قارون الذي {آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} ، وبين المطار والبيت ضابط أمن برتبة سائق تاكسي يسجل أقوالي، أمَّا التفاصيل بين الهبوط والإقلاع فلن أبوح بها.

- **انعكاس**:

لمَّا رأيتُ وجهي في المرآة صباحاً تمنيت لو أن أنفي وعيوني وجبيني وطولي ووزني وفمي وذقني وجفوني وتقاسيمي كلها مختلفة، وحين بدأتُ بتغيير ملابسي كانت ملامحي الواقعية تهرب، وتنعكس في المرآة صورة لا أعرفها لكنها متشكلة من بوحٍ سرّيٍّ لا أصارح به أحداً.

- **إرادة**:

رغم السحب الكثيفة، وطول الطريق وكثرة المطبات وعمق الخنادق، وبالرغم من غزارة الدم النازف، وعلوّ صوت البكاء، وقرقعة الحديد الذي لا يرحم ورغم أرشيف العبودية الثقيل، فإن الشجرة الضاربة في الأرض تصر على نيل حصتها من ضوء الشمس لتزهر وتورق وتثمر في أكثر من عاصمة عربية.

- **تجربة**:

جربتُ الذلَّ والدَّين والفشل والإحباط والإرهاق، والخيبة وانكسار القلب ومرارة الشوق والخوف، وفقد الغوالي والهلع والجزع وقهر الرجال وكيد النساء، واقتربت من الموت غير مرة، غير أني ما وجدت شيئاً أكثر ألماً لروحي وجوارحي من الندم، أجل! ربّااااه إني نااااادم.

الشارقة ٢٠١٢/١/٢٠ م

obeikan.com

القسم الثاني

من قطار الذكريات

obeikan.com

obeikan.com

عفواً انتهت صلاحيتك

أرسل المدير وراءه يطلبه آخر السنة بعد انتهاء الامتحانات، نهض متحاملاً كأنه يعرف لماذا يريده المدير، فقد بلغ الستين من عمره منذ أيام، طيَّب خاطره بكلمات معروفة في مثل هذه المواقف وسلَّمهُ كتاب وزارة التربية الذي ملخصه كما يلي:

العامل المدرس..... الرقم المالي..... الجنسية..... التخصص..... تاريخ الولادة ٥ /١/١٩٥٠م. عملاً بلائحة الخدمة المدنية وبالمادة رقم..... تاريخ..... وتعديلاتها وبـ..... فقد تقرر إنهاء خدماتكم اعتباراً من ٢٠١٠/٩/١٥م يرجى مراجعة الدوائر المختصة لإحضار براءات الذمة وإلغاء الإقامة لصرف تعويضات نهاية الخدمة ثم مغادرة الدولة بعد أسبوعين على الأكثر من تاريخ إلغاء الإقامة.

رجع الأستاذ الكبير متهدماً وجلس على مكتبه في غرفة المدرسين وتجمعنا حوله، كنت ألتقط دقائق وجهه وملامح

نفسه مثل (كاميرة الفيديو) صلعته المتوهجة تتصبب عرقاً تحيط بها خصلات شعر فيها من بياض الشيب أكثر ما فيها من سواد القوة، وعيناه ذابلتان خلف نظارة طبية سميكة، ياقة قميصه وربطة عنقه الأنيقة تضغط بقوة جعلته يحلها ويوسع عقدتها ، أصابع يده المرتجفة التي تعصر القلم المسجون بين السبابة والوسطى، ابتسامته التي خبت، كأس شايه الذي برد دون أن يرتشف منه شيئاً ، أوراقه ودفتر تحضيره وكراسات الطلاب التي حوله، أقلام السبورة التي كاد حبرها أن يجف...

يا أخي انظر إلى هذا الكتاب المشؤوم (كتاب إنهاء الخدمة) ليس فيه عبارة إنسانية دافئة، ليس فيه عبارة شكر، أو أمنية أو أو.... هكذا قال لي وكأنه يخصني بالشكوى من بين الحضور.

سألته:

- أبا معاذ كم مضى على خدمتك مدرساً في الدولة؟

- ستة وعشرون عاماً...

شعرتُ بصفعةٍ على خدي... تحسستُ موضع الصفعة على وجهي وهو يسترسل قائلاً:

- سبعة من أولادي وبناتي ولدوا هنا. آلاف الطلاب والطالبات في المدارس والمراكز والمناشط مرّوا علي. مئات الزملاء من مدرسين وإداريين عرفتهم، بعضهم توفاه الله إلى رحمته وبعضهم ما زال حياً يرزق. والآن علي مغادرة البلد بعد أسبوعين من إلغاء الإقامة. تصور يا أخي...

أنهيت تحسس خدي مكان الصفعة وانصرفتُ إليه بكل جوارحي قائلاً:

- أبا معاذ هل ستغادر؟؟

غضب ورفع صوته في وجهي قائلاً:

- كيف أغادر؟! ستبقى الإمارات تسكنني وسيبقى حبها في نبضات قلبي، ويبقى لبيتي وسيارتي والسوق والمدرسة والزملاء والعمل والطلاب والأحبة مكان لا أستطيع فراقه، قل لي كيف أنسى؟؟ أنت كاتب وشاعر وتعرف المشاعر، كيف سأنسى؟؟ كيف يا أخي؟؟

نظرت إليه صامتاً فقال:

- عذراً على رفع صوتي معك، ثم إنك من عمر ابنتي الكبرى وأنا إذاً من عمر والدك، أرجوك لا تؤاخذني.

تخيلت نفسي مكانه وأقسمت بالله العظيم ألا أنتظر ليأتيني كتاب انتهاء الخدمة وأن أكون مبادراً للاستقالة وأنا في أوج نشاطي - إن كتب الله لي العمر - وبينما نحن في أخذ ورد دخل الأستاذ فاروق الذي لا يجامل ولا يمل المزاح، وألقى كرة النار في الجلسة، عندما قال لأبي معاذ:

- أستاذنا الكريم لقد انتهت صلاحيتك.

ساد الصمت واختفت ضحكة كانت ستطول وتطول دون أن تنتهي.

الشارقة ٢٠١٠/٦/٢٠ م

أنا بين وزيرين

الزمان: الخميس ١٢/١٢/ ٢٠٠٩، الفسحة الأولى.

المكان: غرفة اللغة العربية في المدرسة النموذجية الثانوية في الشارقة.

١- دخل أمين سر المدرسة بابتسامته المعهودة فرحّبتُ فيه وقدَّمتُ له - كالعادة - نوعاً من السكاكر الحلبية التي رافقت طفولتنا ومازالت الشركة تنتجها حتى الآن بنفس الطعم والشكل واللون، فقال: وقِّع هنا أستاذ عبد، ظننت البريد نشرة عادية أو تعميماً مدرسياً - وما أكثرها- وبعد تمعّن النشرة وجدت كتاباً من وزير التربية في دولة الإمارات العربية المتحدة سعادة حميد القطامي رقم/ .... تاريخ/ ..... ، مفاده قبول طلبي للترشح لتوجيه اللغة العربية وتحديد موعد المقابلة الخاصة بذلك ، وقّعتُ بالعلم واستلمت نسختي من التعميم وحمدت الله تعالى على حسن الظن وكسب ثقة الميدان لهذه المهمة ثم بارك

لي الترشيح وتمنى لي التوفيق ، ورمى الرجل (أمين السر) طرفتين ضحكنا عليهما بقدر ينسي هموم العمل ، وغادر الغرفة تاركاً أطيافاً من حلم قادم ومهمة جديدة ستكون أكثر مسؤولية والتزاماً ، ما جعلني أغرق في لجة سراب المجهول القادم ، ولم يطل غرقي في هواجس العمل وتوقعات القادم ، إذ رن جرس هاتفي النقال فتناولته واستقبلت المكالمة، كان زميل دراستي وصديق إجازاتي على الخط من مكتبه في مديرية التربية بمحافظتنا في سورية (منطقة تعليمية) وهو الآن مدير المنطقة التعليمية هناك.

٢- قال الرجل بصوت تقطعه الفرحة: شاعرنا سجل عندك:
تعميم رقم/ .... تاريخ/..... قرار من الدكتور علي سعد وزير التربية في سورية بإعادتكَ إلى العمل في سورية بنفس الدرجة المالية والوظيفية التي كنتَ فيها عندما استقلتَ قبل تسع سنوات. وهذا ماكنتَ تسعى إليه، مبارك أستاذ عبد جهز نفسك ونحن بالانتظار واطلب و((تدلل)) مع السلامة ، شكرت الرجل على اهتمامه ومتابعته وتكلفه الاتصال شخصياً معي خارج القطر ، وأغلقت الهاتف وشعرت بأمواج تسونامي تدفعني في اتجاهين.

- اثنا عشر عاماً في الإمارات أجعلها خلف ظهري وأتركها في موسم الهجرة إلى الشمال وأعود لموقعي الأول بين زملاء اعتلوا درجة المسؤولية والقرار في سورية وأنا الذي طلبت منهم ذلك وها قد وافقوا...
- أبقى هنا لأتابع مهمتي في التدريس والتوجيه قانعاً بمنجزي التربوي والأدبي والشخصي ، وأنسى وظيفتي الأساسية في وطني سورية وإذا أمهلني الله في العمر أعود مُقالاً أو طاعناً في الستين من عمره أو ربما محمولاً في صندوق بين حقائب المسافرين عليه أختام السفارة، ودموع في وداعي وعويل في استقبالي.

قراران من وزيري التربية في الإمارات وسورية في يوم واحد وأنا ماذا سأفعل؟؟ يا راحة البال اهربي ويا رماح الحيرة اثقبي خاصرتي ويا نوارس المجهول ارشديني ويا استخارة ربي اهديني سواء السبيل...

تخيلت ابتسامة طفلي الصغير (سيف) وهو يستقبلني ويقول بلغته الركيكة: (بابا أنا ما بحبك تسافر) ، وتصورت عينيها تدمعان فرحاً بعودة السنونو للعش آخر مرة بقصد البقاء وتمزيق حقائب السفر ، عبقت في أنفي رائحة الياسمينة

الغربية في البيت وتحتها فنجان قهوة الصباح وعصافير الدوري كأنها ترفرف فوق كتفي.

جذبتني أفكار من يقول لي في الإمارات: أحببناك فلا ترحل. آنستنا فلا تبتعد... نحتاجك فلا تبخل علينا... تعودناك فلا تدعنا من دونك، النخلات ستذكر اسمك والمدارس ستذكرك ومنابر الشعر والأدب ستدمع بعدك، وأمواج البحر التي شهدت ولادة كلماتك ستضطرب و.....!!

حقاً أقول لكم: شعرت بأن القلوب قد بلغت الحناجر وأن عينيّ تدوران دوران المغشي عليه، ومن الواجب ألا أكون حيادياً، فالقضية لا تحتمل القسمة على اثنين أبداً (يا أبيَض يا أسوَد).

ثم ما لبث أن ضرب جرس الحصة فأعادني إلى الواقع لكني مازلت ممزقاً بين الوزيرين، ولا أدري لأيهما سأوجه دفة مركبي الحائر... وللقصة بقية...

- ملحوظة: لاحقاً تم اختيار البقاء في دولة الإمارات.

الشارقة ٢٠٠٩/١٢/١٤ م

أمي أخطأت بحقي

سامحها الله وتغمدها بواسع رحمته، فها أنا بعد أحد عشر عاماً على رحيلها المُرّ، أذكرها مع كل إشراقة شمس وغياب، وعقب كل صلاة ولدى رمي رأسي المتعب على وسادة النوم. لكني اليوم إضافة لدعواتي لها بالرحمة ، سأسامحها لأنها أخطأت بحقي وتتحمل جزءاً مما أنا فيه من إهمال وتعب وقلة شأن.

كانت حين تراني أو تسمع أني ألعب كرة القدم في الحارة مع الأولاد، لا يهدأ لها بال حتى تسحبني من بينهم عنوة وتقول: اجلس على كتابك ودروسك فالامتحان قريب ، وكثيراً ما حرمتني متعة فوز بهدف أو تسديدة صائبة بمفاجأتها لي في الميدان، حيث كان كل الأطفال يتوقفون عن اللعب تقديراً لها وتأدباً معها.

وحين تقام الأعراس الريفية الجميلة وأتسلل لأستمتع بعزف الفرق الشعبية وغناء مطربي الأعراس، كانت تشعرني وكأن قد

وقعت الواقعة، فتنهرني بشدة وتعيدني للبيت وصوت الموسيقى والغناء مازال يطنُّ بأذني وتجلسني إلى دفاتري وكتبي وتقول لي: مستقبلك هنا، في الكتاب وليس في كرة القدم ولا في الأعراس. وهكذا حتى حفظتُ معظم القرآن الكريم وأشعار العرب والغرب وكتب النحو والأدب تواريخ الأُمم وجغرافية البلدان وآلت بي الحال إلى ما تعرفون.

أمس قرأت أن مطرباً عربياً - أترفع عن تسميته - سينال مليون دولار أمريكي لقاء تصويره دعاية تجارية لمنتج مياه معدنية مدته ٥٠ ثانية فقط.

كما قرأت أن لاعب المنتخب الإنجليزي (بيكهام) يتقاضى أجراً شهرياً قيمته ١٠٠ ألف جنيه استرليني ، ويتلقى على (الفيسبوك) عشرات الدعوات من أجمل الفتيات (للصداقة).

لي رفيق دراسة فاشل في سورية امتهن عزف العود، اليوم هو عضو في إحدى الفرق الموسيقية براتب شهري يعادل دخلي السنوي... لهؤلاء المطربين طاقم عمل ومكتب ومرافقون ومصورون ومحامون إنهم وزارات كبيرة، وللاعبي الكرة نوادٍ تتنافس في مكافآتهم وينالون النجومية والمال والحياة التي تتقزم معها حكايات ألف ليلة وليلة.

ليتها تركتني ألعب الكرة، لكنت الآن لاعباً مشهوراً أو مدرباً أو معلقاً رياضياً تغزو صوري الأماكن وتلهج بذكري الألسنة.

ليتها سمحت لي بحضور الحفلات والأعراس لكنت مطرباً أو ملحناً أو عازفاً أسكن قلوب العذارى ويحلم بتوقيعي الملايين لأعيش في سبات ونبات.

إنها بحرصها علي جعلت نهايتي متعاطياً للشعر وعالماً عاملاً باللُغة العربية (وتعرفون بقية الحكاية).

سامح الله أمي فقد أخطأت بحقي.

الشارقة ٢٠١١/٣/٢١

تأبَّـط شوقـاً

حين تعرفنا على الشاعر الصعلوك تأبَّطَ شرّاً (ثابت بن جابر) في الصف العاشر راقني اسمه كثيراً، وأطلقته من فوري على أحد رجال بلدتنا - رحمه الله - حيث كان طبعه الوشاية وافتعال المشاجرات وزرع الخصومة بين الناس، حتى غلب لقبه الجديد اسمه الذي لازمه سبعين سنة قبل أن أكون في الصف العاشر، فكان الناس ينادونه بـ "تأبَّط شرّاً" حيثما حلّ وارتحل، ولما سأل أحدَ العارفين عن معنى الاسم، شكرني وربت على كتفي وتمنَّى لي (مستقبلاً مشرقاً) وأظهر سعادة عجيبة بهذا اللقب وقال أمام الجميع: "أنت يا عبد الرزاق أول طالب من القرية ينفعني بعلمه".

وحين دخلتُ دار المعلمين في إدلب بعد الثانوية العامة، عكستُ الاسم وأطلقت على أحد المدرسين - أطال الله عمره - لقب تأبط خيراً، فهو صاحب ابتسامة جذابة دائمة، واسع الصدر لمشكلاتنا، رحب الصدر لتعليقاتنا، هادئ الطبع قريب منا.

وهكذا بعد تأبط شرّاً (الجاهلي) وتأبط شرّاً (البلديّ) وتأبط خيراً (الإدلبي) شربتُ من نفس الكأس التي سقيتُ بها غيري، وأطلق عليّ زملائي في اتحاد كتاب وأدباء الإمارات لقب تأبط شعراً، حيث كنت مسؤولاً عن نادي الشعر في الاتحاد من ٢٠٠٣ إلى أن طلبت إعفائي من المهمة بسبب ضيق الوقت عام ٢٠٠٩ م، إذ كثيراً ما أقول لبعض من أحبهم، يلزمني ٢٦ ساعة في اليوم، ورغم عدم سعادتي باللقب إلا أنه لم يزعجني أيضاً.

وها هو تأبط شرّاً يستيقظ من جديد باحثاً عن اسم آخر:

لقد استبدَّ بي الشوق حتى الثمالة إلى أشجار التين والزيتون والخوخ والرمان والفستق الحلبي، وهاج بي الوله الشغوف إلى الياسمين والمنثور والورد الجوري والنعناع وشقائق النعمان ورائحة الحصاد، تلونت في خارطة قلبي أطياف بيتي الريفي الجميل وسياجه العالي من أشجار السرو المليئة بأعشاش العصافير وأسراب الفراش الملون، عبقت في فضاء نفسي رائحة القهوة بين ظلال الأشجار صباحاً ممزوجة بصوت فيروز ووجوه الغوالي مرايا تحيط بي من كل الجهات والندى يقبّل التراب الأحمر بعشق ووله ما عرفتهما كتب الأولين والآخرين.

طافت عيونهم الجميلة في بؤبؤ بصري وبصيرتي وارتسمت ضحكاتهم على حائط الروح، ولا حت من وراء الغيب البعيد ابتسامتها المعاتبة تقول في بوح خجول صاخب:

- نعرفك رجلاً جلداً، تتحمل سهام النوى، أما نحن فضعافٌ حيارى نعترف بانهزامنا أمام بُعدك ، واحتياجنا لك في اغترابك المقدس، تعال إلينا من أجلنا لا من أجلك...

وإذا بي كالهرَم المتهاوي ، والجبل المتصدع ، كالسور القزم ، كالمثقل بالحنين للمجهول ، كالغارق في لجة العسل المرّ ، كالمستجير من النوى بظلٍّ وارفٍ أخاف ألّا يدوم، لقد اشتقت لصوت كابتن الطائرة يقول: اربطوا الأحزمة للإقلاع، ثم يحلق فينا بساطُ الريح في تفاصيل سريعة وقلوب تسبق سرعة الطائرة وتتدحرج في أرض الوطن وعلى أكفّ المحبين ، ثم يعود صوته بعد ثلاث ساعات ليقول بانتشاءٍ: اربطوا الأحزمة سنهبط في حلب.

منذ خمسةٍ وسبعين يوماً لم أحمل جواز سفري ولم أحشُ حقيبتي بما يفرح المنتظرين... عائد لأرسم في الوجوه بسمة اللقيا، وفي ليالي الهجر أزاهير الوصال...

عائد كما قال المرحوم الطيب صالح: إنه موسم الهجرة إلى الشمال... غائب في استراحة قصيرة زمنياً ، طوييييلة في حسابات التاريخ...

عائدٌ هذه المرة ولقبي ليس تأبط شرّاً ولا تأبط خيراً ولا تأبط شعراً، عائدٌ ولقبي: ((تأبّط شوقاً)) أجل! أنا: تأبّط شوقاً.

الركايا ٢٠١١/١/١٨

obeikan.com

حامل المسك

بعد قدومي من سورية إثر مشاركتي في عزاء شقيقتي (آمنة) - رحمها الله - توافد الأحبة والجيران والأصدقاء والزملاء على بيتي طيلة ثلاثة أيام بعد صلاة العشاء؛ لتقديم واجب العزاء، وتحولت صالة البيت إلى نادٍ متنوع فيه المدرس والموجه والمهندس والصحفي والمقاول والخطيب والعامل والأديب والشاعر... وتلك نعمة من الله حباها لي ، فجعلني محبوباً ممن يعرفني.

وبدون رغبة تحولتُ إلى مدير للنقاشات والأحاديث والاتجاهات المتعاكسة والمتوافقة... فكنت في ذلك مكرهاً لا بطلاً. ثم جاء أحدهم وهو صديق قديم من رأس الخيمة...

كان هادئاً كما أعرفه من سنين ، وجهه يمطر هيبة ووقاراً ووسامة ومحبة، حديثه كالشهد المصفى، إذا تكلم أنصت له الجميع، وأسر الألباب بفصاحته وهدوئه وابتسامته الجذابة، يرضيك دون أن يخسر شيئاً، يعطيك أمنيتك قبل أن تطلبها منه، كريم يألف ويؤلف...

أثنى على القهوة العربية المرة مذكراً الحضور أن صاحبها ابن بيت يسقي القهوة من جدود وآباء... شعرت ببرد اليقين يثلج صدري الملتهب وارتواء الصادي من فيض زلال ، هدأت عواطفي بمواساته ، شعرت أن حزني كان كبيراً وبدأ يصغر بمواساته، وختم جلسته بفاتحة ودعاء وبعد ذلك دعا بدعاء القيام من المجلس. استأذنت بقية الحضور - على غير العادة - لمرافقته إلى سيارته... شعرت أنني طفل صغير وانتابتني رغبة جامحة بأن أتعلق بثيابه وأرجوه المكوث، أو أبكي وراءه عله يعود أو يأخذني معه، كما كنت أفعل مع أبي - أدامه الله - وأنا طفل ، لكن كبرياء رجولتي وخجلي من تدحرج الأمنيات للوراء منعاني من ذلك ، عدت للبيت معتذراً عن غيابي للجلساء وشعرت بالفراغ الذي تركه ، كان مقعده ما يزال فارغاً... ورائحة وجوده تملأ المكان، لقد كان صديقي - أكثر الله من أمثاله - حامل المسك الذي تشم منه أطيب الشذا أو تبتاع منه الطيب، في حين كان غيره - هداهم الله - غير ذلك.

الركايا ٢٠٠٩/١٠/٢٢

ذات صباح

حين وصلت مقر عملي يوم الخميس كانت الساعة السابعة صباحاً، أوقفت سيارتي في ظل البناء الشامخ قرب نخلتين متجاورتين باسقتين، ولعبت بأزرار الكرسي فتحول لما يشبه السرير، حيث أسترخي لنصف ساعة في مثل هذا الوقت يومياً، بحثت عن تردد ٨١٠ في موجة الـ AM حيث موعد فيروز، فتهادى صوتها كثوب المخمل على مفاتن الحسناء، أرخيتُ زجاج النافذتين الخلفيتين لتبديل الهواء وأطفأت المحرك، عن يميني زجاجة ماء وزجاجة عصير تفاح وقطعة شوكولا وتفاحة خجولة تخاف التهامها دون استعمال السكين.

بدأت أتامل المشهد، رجال ونساء من كل الجنسيات والأعمار يدلفون من سياراتهم كسالى صباح الخميس يحملون حقائبهم محشوة بالحواسيب، أما النساء فلحقائبهن أسرار تتعدى الحاسب الآلي المحمول، بعضهم يحمل وردة وآخرون يحملون بقية كأسٍ يحتسون آخرها...

هكذا لكل واحد قصته ولكل واحدة فرادتها وحكايتها ، طموحات ، وعود ، خيبات ، إرهاق ، أحلام وردية وأخرى محطمة...

كانت سعفات النخلتين ترقص بخجل ، وتخفيان عصافير الصباح لكن تغريدها يفضح مكانها...

فجأة نزل عصفوران من الشجرة وحطا على ماسحة زجاج سيارتي، ظناً منهما أن السيارة خالية من البشر حيث عشرات السيارت حولها ، فرحتُ بهذه المصادفة غير المتوقعة وابتسمت باستغراب وخفضت صوت فيروز كي لا يحسّا بوجودي عند جملة من أغنيتها التي تقول: يا مرسال المراسيل على الضيعة القريبي/ خد لي بدربك هالمنديل واعطي لحبيبي/ وبتجبلي منو تذكار شي ورقة وشي صورة/ عالورقة يكتب أشعار واسمو على الصورة...

تذكرت أيام رسائل الورق وسعاة بريد المحبة مجاناً والصور والقصائد المحترقة من زوايا الورق، وأمسكت هاتفي متحدياً فيروز مرسلاً رسالة لمدينة بعيدة هناك كي تصل بسرعة مع دفع الأجر وليس مجاناً.

كان يزقزق وهي صامتة تنظر فيه ، ثم اقتربا ليتلامس جناحاهما ثم تبادلا مكان الوقوف وأنا واجم وراء الزجاج

أتاملهما مؤجلاً تناول الشوكولا والعصير... ثم حانت من أحدهما (منه) التفاتة للخلف فرآني...

أقسمتُ بالله إن عينيه التقتا بعيوني فانحنى ليتأكد من وجود شخص في السيارة، كأنه إنسان اكتشف من يتجسس عليه في مأمنه ، وحين تأكد احتك بها مسرعاً وطارا ، وأنا ألاحقهما بنظري حتى غابا عن بصري...

مددتُ يدي لزجاجة الماء وأنقصتُ امتلاءها برشفة شرهة ، ونزلت متأبطاً حاسوبي بيد وهاتفي ومفتاح سيارتي بالأخرى، مندسّاً بين جموع الوالجين للمبنى الشاهق، راسماً على شفتيّ ابتسامة الموعود، وفي فكري خرائط الحنين، وحين اقتربت من المصعد ضربتْ في أنفي رائحة القهوة فغيّرتُ اتجاهي للمقهى لأرتشف فنجاني قبل الغرق في العمل، قلت للنادل: good morning ، فعرف تلقائياً طلبي وكمية السكر الموضوعة ، وخلال ضغط زر الدور الرابع في المصعد قلت في نفسي: شكراً للعصفورين فقد أراحاني من البحث عن موضوعي الأسبوعي الذي يناديني لكتابته.

دبي الخميس ٢٠١٧/٤/٢١ م

ساعاتي الثلاث

حين شددتُ رحالي من سورية للإمارات في سفرٍ بريّ طوييييل بسيارتي الخاصة ظهيرة يوم عيد الفطر؛ شعرت أن فرحة ليلة العيد وصباحه قد تحولت إلى غصة ونشيج لدى عشيرة المودّعين لي ، فدحرجت قلبي على إسفلت الطريق كعجلات السيارة، مخفياً في تباريح نفسي مشاعر مختلطة من الخوف والرغبة والأمل والحزن وانطلقت، ولما وصلنا مشارف مدينة الأزرق الأردنية نظرت في ساعة يدي فإذا هي قد توقفت ، لم أكترث بالموضوع وحللت رباطها متذكراً سيدتي الأولى حين أهدتها لي بمناسبة فوزي بجائزة أدبية قيّمة قبل سنتين، وأخرجت ساعة يد أخرى من جيب السيارة ولبستها، ذلك أن السائق المسافر مرهون لعاملين اثنين ؛ المسافة والزمن.

بعد مسيرة يوم كامل وخلال استراحتي في غرفة فندقية بمدينة الهفوف السعودية، نظرت لساعة يدي الجديدة فإذا

هي قد توقفت أيضاً، فوضعتها بجانب أختها المتوقفة، بدأت الأسئلة تتوالى والهواجس تتسرب إلى نفسي القلقة من أهوال الطريق ، لكن ساعة السيارة وساعة الهاتف المتحرك كانتا تعملان بدقة.

بعد أن أكرمني الله بالوصول إلى منزلي في الإمارات سالماً سرعان ما تناولت ساعة كنت تركتها على حافة السرير وحيدة طيلة الصيف ، نظرت إليها فإذا هي تمشي صابرة محتسبة وكأنها تبحث عمن تنظم له أوقاته فربطتها في يدي ، وفي اليوم الثاني حيث بدأ الدوام في المدارس حانت مني نظرة عابرة إليها فإذا هي قد توقفت ، هنا لم أعد أحتمل هذه المصادفات...

يالله!! ماذا هناك؟ ثلاث ساعات لي تتوقف خلال ثلاثة أيام؟ هل هناك شيء ما قادم؟؟ هل اقترب توقف ساعة عمري؟؟ وهل يستعد (الحكم العدل) لإطلاق صافرة النهاية حيث لا تمديد ولا وقت بدل الضائع؟؟ وغرقت في هواجس النهاية وتذكرت كلمات أغنية خليجية تقول:

(شوف الحزن من دمعتي/ حقق مناه وغايته/ شوف الزمن في سكّتي/ وقّف عقارب ساعته/ يرسم على حزني بيوت/ تشبه بيوت العنكبوت...)

حين دلفت إلى دكان الفتى الباكستاني الذي أصلح عنده كل ساعات الأسرة ابتسم لي، وأخرجت ساعاتي الثلاث المتوقفات على أزمنة مختلفة وقذفتهن أمامه على مشرحته الزجاجية، راوياً له بالعربية المتكسرة حكاية التوقف لثلاثتهن وهواجسي المرافقة لهذا الحدث الغريب.

تناول أدواته ومباضعه وبدأ المعاينة بخفّة ومهارة وأنا أراقبه ثم نظر إلي مبتسماً وقال:

- شوف بابا أنتا ما في خوف هازا تلاته حبة بتري في خراب وظروري أنا في تبديل بعدين كلو أوكي ميه ميه.

أومأت له بالموافقة وخلال عمله بدأ بإلقاء موعظته العميقة عليّ:

- بابا نفر مسلم لازم ما في خوف من موت، وما في مشكلة، أنتا ليش خوف من ساعة إذا وقف؟

فكرت في كلامه وتذكرت كارثة باكستان خلال فيضانات الصيف، وعرفت أن هواجس تفكيري في نهاية العمر بعد توقف ساعاتي الثلاث لم تصل لدماغه البسيط، المبرمج على قدر أعطال الساعات وأسعار الخدمة، فسألته كم يريد؟ فقال:

- شوف هذا تلاتة بتري أورجنال في كرانتي وأنا يريد تسعين ريال، بس أنتا صديق مال أنا ويريد تمانين بس.

طبعاً مع (تحريكة الرأس المعروفة) ابتسمت له ليفهم أني أعرف حركاته وألاعيبه ونقدته خمسين درهماً فقط فأخذها وابتسم مدركاً أني متسوق دقيق الحساب وخرجت.

أجل! أصبحت الساعات الثلاث يتحركن بنفس الزمن والسيارات في الشوارع تسير وضجيج السوق يزداد صخباً وهواجسي من توقف الزمن ونهاية العمر تتلاشى وتتلاشى، لكن دون نسياني بأن صافرة الحكم ستنطلق يوماً وأن ساعة عمري ستتوقف لا محالة دون تأجيل ولا تمديد، ومن غير أن يستطيع تحريكها مصلّح ساعات مهما كان ماهراً.

الشارقة ٢٠١٠/١٠/٤م

سندات تمليك

التفاتة نحو الوراء حيث كنت طالباً في دار المعلمين في مدينة إدلب السورية، التي صارت معروفة في كل نشرة أخبار عن الثورة السورية الملتهبة ، فقد كنا نتجاوز ملل المحاضرات بطريقة الفوضى الخلاقة المنضبطة، حيث أكتب في قصاصة ورقية بيتاً مشهوراً من الشعر (يكون في الغزل والحب) ، وأوزعها على الزملاء المحيطين بي لتأليف بيت آخر من نفس الوزن والقافية، ويكمل الموضوع بحيث تتولد ثنائية شعرية، وفي نهاية الجلسة كنا نعرض أبياتنا على الأستاذ الأديب الدكتور هاشم دويدري حيث كان يدرسنا مقرر طرائق تدريس النصوص الأدبية، وبعد عدة جولات كانت قصاصتي هي الفائزة دوماً فما كان من الرجل إلا أن ألغى التحكيم وقرر أنه مادام عبد الرزاق مشاركاً فهو الفائز دوماً .

ومازالت الذاكرة تسعفني في تذكر بعض تلك المنافسات التكميلية ومنها: يقول شاعر قديم لا أعرف اسمه:

وما كنتُ ممّن يدخلُ العشقُ قلبَه
ولكنّ من يبصرْ عيونكِ يعشقِ

فأكملت:

لقد خالطَ الألبابَ ساحرُ كحلِها
وبعدَ سوادٍ شابَ منهنّ مفرقي

ويقول الشاعر العباسي العباس بن الأحنف:

لو كانَ لي قلبانِ عشْتُ بواحدٍ
وتركْتُ آخرَ في هواكِ يُعذّبُ

فأكملت:

لكنّ لي قلباً شغوفاً واحداً
نبضاتُهُ في حبّكم تتلهّبُ

ويقول شاعر قديم مجهول:

بعدتمْ عن العينينِ فازدادَ حبّكم
وغبتمْ وأنتمْ في الفؤادِ حضورُ

فأكملت:

لقدْ كانَ زقّومُ الغضا حالياً بكمْ
وفي هجركمْ شهدُ الشفاءِ مريرُ

وهذه الثنائيات الدافئة هي اليوم على لسان المحبين والكثير من محبي الشعر ومتذوقيه وكأن قائل البيتين هو شاعر واحد وليس شاعراً كبيراً قديماً و(شويعر) جاء في آخر الزمن.

ومن الطريف في الأمر أن الأستاذ (المُحكِّم) اختير ليكون موجه لغة عربية في دبي ، وحين قدمتُ للإمارات العربية المتحدة مدرساً للغة العربية ، زارني في الفندق وبارك لي العمل وزودني بتوجيهات غالية كانت شموعاً في طريق عملي الجديد هنا.

ودار الزمن دورته ، وحين جاءتني الترقية لتوجيه اللغة العربية في دبي ؛ كم كنت أجد في السجل التراكمي للمعلمين الذين أزورهم اسم الأستاذ هاشم وتوقيعه ! وقد تقاعد وعاد إلى بلدته الجميلة في سورية ، فأتابع على خطاه وأستأنس برأيه وخبرته.

هي ملفات في تضاعيف الذاكرة كم أحتاج لنفض الغبار عنها وكتابتها!! لكن المشاغل تحول دون ذلك. أما عن سندات التمليك فإني أحب إهداء ملكية أبياتي لمن أحبهم من زملائي في تلك الفترة ، ولأستاذي الجليل الدكتور هاشم ، ولذكرى الشعراء القدامى أصحاب الأبيات التي نسجنا على منوالها ، ولكم أنتم أيها القراء الأعزاء.

الشارقة ٢٠١١/٩/١٦ م

ضيفة

حين انتصف الليل؛ كان البرد يعوي في وطني النازف سوريا، وزمهرير الشتاء يترك الشوارع خالية إلى جدران دافئة، كان ملف سوريا مبسوطاً في مجلس الأمن لإيجاد مخرج للقتل الرخيص منذ قرابة سنة...

كنت أتابع وأمامي الهاتف الثابت والمتحرك والإنترنت، كأني في غرفة عمليات للتواصل مع غير شخص وغير مكان في سورية، ثم جاء الخبر: الحمد لله على سلامتها، ومبارك لكم المولودة الجديدة...

أخيراً. أهلاً بك يا فلذة كبدي وبعضاً مني، يا نبضاً لا يهدأ وحشاشةً لا تنطفئ، أهلاً بك في هذا الظرف الاستثنائي حيث يتجرع أبوك غصص النوى ويحتسي أكواب الأسى خلف الحدود لتنعموا بالأمان، أهلاً بك حيث تعاني أمك حسرات البعد وآلام الوضع وإرهاصات ثورة ملتهبة على درب الحرية والتغيير للأفضل.

أعتذر يا بنتي أني لن أراك ساعة قدومك إلى هذه الدنيا، فتلك ضريبة تعوّدنا سدادها مكرهين لا أبطالاً، وأعتذر منك ثانية لأن كل من حولك من عمات وخالات وممرضات لن يستطعن حجب الصوت الذي سمعتيه، لقد كان أول صوت تسمعينه يا صغيرتي هو صوت الرصاص، حيث الموت يتطاير كنوارس دامية في كل اتجاه. وحدك كنت في تلك البقعة رمزاً للحياة، وكل ما حولك يشي بالموت. أهلاً بك وردة أخيرة من بستان أزهر وأورق وأثمر فالكل بانتظارك...

بعضهم حضَّر لك ثياب الصوف الشتوية ، وبعضهم جهَّز السرير الدافئ ، وأشقاؤك حضَّروا من الألعاب والعطور والورود الكثير ، ترى ماذا سأهيئ لك؟ قلبي لتسكنيه؟ أم روحي لتقيمي فيها؟ أم عروقي لتنبضي في جريانها ، أم أبجديتي البائسة لتنفخي فيها السعادة؟ أم مسامات جلدي لتتسربي عبرها؟ أم ذراعيَّ الغائبتين لتتوسديهما؟ أم بسمتي المرة بعد ذوبان السكر وغيابه عن المشهد؟؟ أم ماذا؟؟ تُرى هل أسميكِ ثورة؟ أم شام؟ أم سورية؟؟ أم أترك اسمك لأمك فهي الأقرب لك بعد أن كنت ديكتاتورياً في تسمية من سبقك...

غاليتي: أهلاً بكِ رمزاً لاستمرار الحياة في زمن الموت، والحمد لله على سلامة والدتك، وشكراً للطاقم الطبي ولمن كان حاضراً وساعياً في غيابي الذي مللت منه، آملاً من الله الذي وهبك لي أن يجعلك قرة عين والديك. أجل أهلاً بكِ يا (ليلى).

٢٠١٢/٢/١م

obeikan.com

كسول في الرياضيات

الزمان: يوم شتوي بارد من شهر ديسمبر...
المكان: إحدى المدارس الثانوية الريفية بمنطقة معرة النعمان شمال غرب سوريا.
التوقيت: حصة اللغة العربية في الصف العاشر (الأول الثانوي).

دخل الأستاذ - ما يزال حيّاً - أطال الله عمره، بمعطفه الشتوي ونظارته البراقة يحمل حقيبته ليراجع لنا مقرر اللغة العربية قبيل امتحانات الفصل الأول، ومن عادته أن يكتب بخطه الجميل أبياتاً شعرية على السبورة ثم يشرحها ويطبق عليها قواعد النحو والصرف والإعراب والصور البيانية والمحسنات البديعية... إلخ، ثم فرك كفيه ببعضهما من البرد وأدار ظهره وكتب وهو يقرأ ما يكتب:
- ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنّ التقيَّ هو.....

فأكمل أحد الطلاب بسرعة وقال:

- السعيدُ.

فاستغرب والتفتَ متسائلاً:

- من أكمل البيت قبلي؟!

ردّ الطلاب:

- ما في غيره يا أستاذ.

وأشاروا إليه ، طلب إليه المدرس أن يقف ، فوقف بخجل فسأله:

- هل تحفظ هذا البيت؟

- لا، أول مرة أسمعه يا أستاذ.

- كيف أكملته إذاً؟؟

- واضح أن الكلمة المناسبة في هذا المكان للمعنى والموسيقى هي (السعيد).

- (مبتسماً) ستصبح شاعراً على ما يبدو، تعال معي للإدارة في الفسحة.

وساد الضحك...

• • •

obeikan.com

دخل الطالب الإدارة متهيباً الموقف ، فقد كان المدرسون يجلسون حول المدفأة يحتسون الشاي ويضحكون ويتحدثون باللهجة العامية ، وهذا الجو لم يألفه الطالب ، فهو يعرفهم داخل الفصل فقط... وسرعان ما حكى مدرس العربية حكايته وقال للمدرسين وهو يربت على كتف الطالب:

- سيصبح شاعراً أديباً.

فنظر الطالب في الأرض خجلاً.

قال مدرس التاريخ:

- لا ، سيصبح سياسياً ، فهو يتابع نشرات الأخبار ويحفظ أسماء رؤساء ووزراء خارجية تسعين دولة.

ثم سأل:

- ما اسم وزير خارجية الاتحاد السوفييتي؟

رد الطالب فوراً:

- أندريه دروميكو.

فاستغربوا، لكن أستاذ التربية الإسلامية قال:

- أبداً ، سيصبح خطيباً وإماماً ، فقد كلفت الطلاب حفظ الجزء التاسع والعشرين (جزء تبارك) وحددت لهم المهلة بشهر فحفظه في أسبوع وأسمعني إياه مع التجويد.

استغرب أستاذ الموسيقى وقال:

- غريب!! فهو يحفظ أغاني فريد الأطرش وأم كلثوم وفايزة أحمد ومحمد عبد الوهاب وفيروز ومحمد عبده بكلماتها وألحانها، لكن صوته صارخ وخشن.

فخاف الطالب أن يطلبوا منه الغناء لكن الله سبحانه ستر ولم يطلبوا، فقام مدرس الفنون وتناول كرتونة مطوية من أعلى خزانته وفتحها وقال:

- انظروا فهذا الطالب صاحب لوحة الربيع الفائزة التي ستشارك في معرض المنطقة (فتاة تحمل جرة ماء من النبع وراعٍ مع غنماته وطيور وأشجار ورجل يقرأ وهو جالس على الصخور).

أحس الطالب أن قلبه صار في حنجرته ، فقاطعهم مدرس الأحياء بهدوئه المعتاد وقال:

- سيغدو طبيباً جراحاً فقد لبس المريول الأبيض في المختبر وشرّح لزملائه كِلية خروف بشكل رائع دون أخطاء، بل دون أن يلطخ الثوب الأبيض بقطرة دم.

وهنا قال مدرس الرياضيات:

- كفى كفى! هذا الطالب حتى الآن يخطئ في جدول الضرب ودرجاته في الرياضيات مخجلة.

ثم توجه للطالب فجأة وسأل:

- ٩ ضرب ٦ كم يساوي؟

فارتبك الطالب وتعرق جبينه وبدأ يستخدم أصابع كفيه لإيجاد الناتج ، فانفجر الجميع بضحكة جعلته يقترب من البكاء فما كان منه إلا أن غادر غرفة الإدارة دون إذن مجهشاً بالبكاء محمر الوجه خجلاً وغضباً ، تبعه المدير وأوقفه وأمسك يده قائلاً:

- لا تبكِ يا بنيّ ، أنت طالب متميز والكل يثني عليك إلا عقدة الرياضيات.

قال الطالب بصوت متهدج:

-أستاذ الرياضيات لا يفهمنا ، ويسخر من ضعفنا ، ليتكم تستبدلونه...

في تلك اللحظة ضرب الجرس فإذا مدرس الرياضة يلقاه في هذه الحال فقال للمدير:

- هذا الطالب أبرز لاعب في فريق السلة والطائرة وبه حققنا بطولة دوري المدارس ، فهو يستخدم قامته الطويلة في الهجوم والتسديد الذي لا يخيب، من أزعجه اليوم؟؟

ردّ المدير قائلاً:

- حسناً، حسناً لا تهتم، اذهب لفصلك.

وصل الطالبُ الفصلَ وأمسك كتاب الرياضيات بغضب ومزقه ثم رفع صوته في وجه رفاقه المستغربين وقال:

- أقسم بالله العظيم سأدرس الفرع الأدبي وأطلِّق الرياضيات كلها.

دار الزمن دورته ونفذ الطالب يمينه التي أقسمها، وسامح مدرس الرياضيات واتخذه صديقاً حميماً.

بقيت ثلاث ملحوظات أختم بها مقالي:

- ما يزال ذلك الطالب ضعيفاً في الرياضيات رغم عدم نسيانه أن ٩ ضرب ٦ يساوي ٥٤.
- حقيقة الطالب حين أصبح رجلاً هي مزيج من كل توقعات مدرسيه.
- إن هذا الطالب هو نفسه كاتب هذه السطور.

الشارقة ٢٠١٠/١/٢٣ م.

obeikan.com

لحظة وجل

أخي وشقيقي وبعض مني؛ محمد (أبو قتيبة)...

هكذا دهتك النائبة واستقر أثرها في رأسك داخل جمجمتك بجوار دماغك...

يا لها من متسللة بارعة اختارت مكاناً حصيناً قوياً أغلقه الله البارئ يوم خلقك كي يبقى بعيداً عن أية عوارض...

واستسلمتَ يا أخي راضياً مؤمناً ليحملوك من هناك، من الركايا في ريف معرة النعمان حيث الخضرة والماء والوجه الحسن، والحياة إلى دمشق حيث الاحتمالات مختلفة.

أخي محمد: هل درتْ أمنا رحمها الله أنها حين ولدتني قبلك بأحد عشر شهراً أنها ستلدك لتحب من سبقك وشاركك الرحم والمكان ومكان ارتشاف قطرة الحياة الأولى...

كنت أنا الذي دخل المشفى بدلاً منك، أجل والله... مددّتُ نفسي على سرير ودفعته في الأروقة النظيفة وحولي وجوه أعرفها ووجوه ما عرفتها، كنت بديلاً عنك في عمليتك

الخطيييرة، رأيت باب العناية المركزة وتوهمت ملك الموت ينتظرنا هناك فودعتُ من حولي كأني لن أراهم لاحقاً، لم أتملَّ وجوه الأطباء والممرضات فهي لا تهمني واستسلمت لحقن التخدير ومباضع لا ترحم، آآآآه يا أخي! ليتهم اكتفوا بشق الجلد وقطع الشرايين لكنهم تجاوزوا ذلك لكسر العظم وفتح نافذة دون ستائر ليروا تلافيف دماغي...

لقد كشفوا أسراري وغبتُ عن الدنيا.

أسمع نشيجكم وجلبتكم خارج الغرفة واسمع نداء ابنك (قتيبة) وتوسلات صغيرتك (نهلة) أن:

- لماذا بابا هناك؟

أفقتُ يا أخي لأشم رائحة العقاقير وأرى تلوث ملاءات سريري البيضاء بدمي، لقد حقنوا شراييني بدم جديد لا أعرف من أين، فاعذريني يا أمي إن جرى في عروقي دم غريب غير ما أرضعتيني إياه.

أخي يا محمد: هكذا وأنا أشاطرك شق الجلد ونشر العظم أخبرت معارفك في الإمارات ومعارفي، فكانت في يوم الجمعة ساعة دعاء صادقة لاقت باباً للإجابة مفتوحاً من الله تعالى، الذي لا ننساه في الرخاء فيكون معنا في الشدائد.

هي لحظات عصيبة نقترب فيها من الوجل طائعين ضعفاء أمام رايات الأقدار...

خطوط الهاتف ساخنة يا أخي لكل الأرقام ، والشفاه التي تتحدث جافة إلا من الرجاء بشفائك ، والحروف مقيدة مرصوفة بعبارات مقولبة جاهزة كصندوق جمجمتك الذي فتحوه وانتهكوا مغالقه.

أخي أبا قتيبة: كنت معك ومازلت من غربتي التي وصلت حقائبها مرحلة الحزم والانتفاخ، أنا الذي احتاج رؤية عينيك تستقبلان خطواتي على عتبات بيتك بين اخضرار الزيتون والعنب الذي لم يعد حلو المذاق.

شهقة ارتياح أعادتني للوعي حين سمعت صوتكَ بعد معركة مع الغياب والخطر، فانتشيت وهانت التبعات كلها ما دمتَ تجاوزت ضربة السيف القاتلة.

شقيقي وقرة عيني وسندي: أنا المريض لا أنت ، فادعُ لي بالشفاء... أخي أيها الصابر الصامت لك مني طرقة على باب الله ملهوفة لن أعود بعدها إلا بنظرة منه إليك تفرج كربك، إنه الكريم الشافي المستجيب ونحن عباده المؤمنون.

هي محطة في دربينا المتوازيين، سنعود بعدها على المصائب أقوى، وفي الحياة أكثر محبة وتراحماً ومن الله تعالى أقرب وأقرب.

عجمان ٢/٧/٢٠١٠م

obeikan.com

ثلاثـة

الزمان: يوم ربيعي من عام ١٩٨٤م .
المكان: معهد دار المعلمين في إدلب/ الجمهورية العربية السورية.
الحدث: مصادفات الرقم ثلاثة.

• • •

كنت في السنة الثانية والأخيرة من دراسة دار المعلمين وعلى وشك التخرج ، ولما كنت الطالب الأول في المستوى على ما يزيد عن ٤٥٠ طالب وطالبة في الدار ، فقد كان الجميع يتابعون حركاتي وسكناتي ودفاتري وأنشطتي ، ومن ذلك أن مدرب المجموعة سابقاً وهو مسؤول كبير في وزارة التربية السورية حالياً ، كلفني بإعطاء درس رياضيات ليحضره مع الموجهين وأعضاء مجموعتي ليضعوا عليه درجة التطبيق العملي للمواقف التعليمية ، كان المعهد بناءً شامخاً من

obeikan.com

الطراز الكلاسيكي يتكون من ثلاثة طوابق وقبو أرضي، تركز طلاب السنة الثانية في الدور الأول مع الإدارة، والطابق الثالث لطلاب السنة الأولى، أما الطابق الثاني فقد كان مدرسة ابتدائية اسمها مدرسة صلاح الدين الأيوبي وهي موضوعة هنا للتطبيق العملي لدار المعلمين.

صعدت للطابق الثاني وقابلت مديرة المدرسة فوجهتني إلى معلمة الصف الثالث الشعبة الثالثة، فأريتها كتاب التكليف بدرس تطبيقي فرحبت بي وتمنت لي التوفيق وحددت لي الدرس كما يلي:

الصف: الثالث، الشعبة: الثالثة، الحصة: الثالثة، والموضوع هو الوحدة: الثالثة، والدرس هو القسمة على ثلاثة.

قلت لها:

- كل شيء ثلاثة ثلاثة!

فابتسمت وقالت:

- مصادفة غير مقصودة لكنها طريفة.

قلت لها:

- إن مدرب المجموعة حدد موعد الدرس يوم الثلاثاء في الثالث من الشهر الثالث.

قالت:

- مصادفة عجيبة، تفاءل يا عزيزي برقم ثلاثة.

أعطيت الحصة أمام زملائي في المجموعة: زميلتان وزميل يعني ثلاثة ، والمشرف على المجموعة واثنين من الموجهين يراقبون: كانوا ثلاثة ، وبحضور معلمة الفصل واثنتين من زميلاتها: فكُنَّ ثلاثاً.

وبعد حصة المناقشة والنقد بحضور الجميع شكرني كلهم على الحصة المميزة ، وبنتيجة التشاور بين الطلاب والمعلمات والموجهين نلت النقاط الثلاث ، وهو الرقم التام بالنسبة للحصة المتميزة.

شعرت أن هذه الثلاثات غير طبيعية أبداً، وأن مسلسلها لن ينتهي ، وبعد تهنئة القوم لي بنجاح الحصة ونقاطها التامة قابلني الأستاذ مدير الدار (المعهد) وأثنى علي، ثم دلفت من المعهد إلى محطة الحافلات للعودة إلى بلدتنا الريفية الجميلة برفقة أحد الزملاء، كنت أعرف أن أجرة الحافلة من المدينة لبلدتنا - آنذاك - ثلاث ليرات سورية ، وأخبرت زميلي بذلك فضحك وقال:

- هي صُدفة يُكتب عنها قصة... ما حكاياتك يا عبد الرزاق مع الثلاثة هذا اليوم؟!

يا للمفاجأة الأخيرة!! كانت تذكرتي في الحافلة هي أن أجلس على المقعد رقم ثلاثة.

حقاً كانت مصادفة غير محسوبة، أخبرت بها أساتذتي ومدير المعهد فلم يصدقوا، وأكدت لهم ذلك بالبيانات والدليل وتأكدوا من ذلك تماماً فصارت المعطيات كالتالي:

اليوم: الثلاثاء.

التاريخ: ثلاثة.

الشهر: ثلاثة.

الصف: الثالث.

الشعبة: الثالثة.

الحصة: الثالثة.

الموضوع: الوحدة الثالثة.

الدرس: القسمة على ثلاثة.

عدد الموجهين المراقبين: ثلاثة.

عدد المعلمات الحاضرات: ثلاث.

عدد طلاب المجموعة: ثلاثة.

نتيجة التقييم بالنقاط: ثلاث.

أجرة حافلة العودة: ثلاث ليرات سورية.

رقم مقعد الجلوس: ثلاثة.

obeikan.com

نشروا الخبر والبيانات في صحيفة الحائط المدرسية بجانب صورة شخصية لي وتعمد الزميل مخرج الصحيفة أن يكتب تحت اسمي: الأستاذ الفاضل ثلاثة، ليشد القراء للموضوع.

• • •

حقاً أقول لكم: مازلت احتفظ بأوراق ذلك اليوم حتى الآن في تلافيف ذكرياتي وأرشيف مكتبتي ، لتكون إحدى المصادفات الطريفة في مسيرتي التعليمية.
ما أجملها من أيام!! وما أروعها من ذكريات تخطر في البال فتعيدنا إلى أيام غابت ولوحت بيدها ولن تعود ، لكن الإنسان المرهف يبقى متناثراً بين زمن مضى لن يرجع وزمن آت مجهول، ورغم تذمره من يومه فإنه على الغالب أفضل من القادم، ورحم الله الشاعر الذي قال:

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

الشارقة ٢٠٠٩/٣/١٢ م

يـوم لا ينسى

في حياة كل منا مواقف لا تنسى وتواريخ تبقى محفورة على جدار القلب لا يمحوها مرور الزمن ولا تبليها حادثات الأيام، ومن ذلك تاريخ الثالث عشر من أكتوبر (تشرين الأول) حيث هو اليوم الذي اقترن عندي بالمرارة، ولست في ذلك متطيراً من يوم أو تاريخ بعينه مقدار ما هو مصادفات بحتة جاءت في هذا اليوم:

أولها: ١٩٨٩/١٠/١٣م ، حيث كنت في السنة الثانية من دراستي الجامعية ، وتذوقت في ذلك اليوم طعم الرسوب الأول في حياتي، حين لم أنجح في امتحان اللغة العبرية المقررة علينا، فقد جاءت الأسئلة محرجة على شكل مقتطفات من صحف الكيان الصهيوني مطلوب ترجمتها وتصريفات الفعل والمبني للمجهول في اللغة العبرية ، أجل لم أكن أعرف الرسوب الدراسي حتى ذلك التاريخ فتعجبت من المدمنين

للرسوب كيف يأكلون ويشربون وينامون ويظنون أنهم كباقي البشر.

ثانيها: ١٩٩٩/١٠/١٣م، حيث رأيت في منامي أن والدتي قد توفيت وأني منقبض الصدر، ولما بحت بحلمي المزعج للأسرة قالوا: أضغاث أحلام، فيممت وجهي إلى مدرستي في الشارقة ولما كنت في الحصة الثانية جاءني المدير بلطف وقال: لديك مكالمة من سوريا - لم أكن أحمل الهاتف المتحرك بعد - وأمسكت السماعة وجاءني الخبر من لسان شقيقي الأكبر (نايف): أخي عبد توفيت الوالدة، حيث بدأت رواية الأحزان - لا فقدتم غالياً - لذا لن أدعكم تغرقون فيما بعد الخبر وتفاصيل حزني، لكني استنتجت بشهادة من حولي خطورة أحلامي وصدق فراستي لدرجة خوف بعضهم إذا بدأت أروي له حلماً يتعلق به.

ثالثها: ٢٠٠٩/١٠/١٣م، حين كتبت رسالة في هاتفي المتحرك لأرسلها إلى خمسة عشر شخصاً (إخواني وأخواتي) لأذكرهم بمرور عشر سنوات على رحيل الوالدة رحمها الله كي لا ينسوا - وما أظنهم ناسين - كنت في غرفتي بالثانوية النموذجية في الشارقة، وبعد إرسالها بساعتين جاءتني المكالمة من شقيقي الأكبر نفسه (نايف) ليقول: يجب أن تترحم على والدتك

وشقيقتك آمنة أم الستة صغار، التي توفيت قبل ساعة وكنا سنخبرك لكنك كنت الأسرع.
دارت الدنيا واكفهر وجه النهار، وتحركت كعصفور مكسور الجناحين من المدرسة للبنك لمكاتب الحجز للمطار واحترق الزمن وأنا أكتم دمعاً وحزناً يجعل الطائرة فوق الغيوم تتهاوى للقاع، وحين وصلت سورية بعد تسع ساعات كانت - رحمها الله - قد سكنت بيتها الجديد تحت الثرى ولات حين مجيب للنداء، احتسبتها عند الله وجلست في سرادق عزائها يومين وقفلت راجعاً للإمارات.

هي أخاديد في صفحة الوجدان وتاريخ بريء لا يلام أبداً، وتسليم لله الواحد القهار الذي لا ملجأ منه إلا إليه، أجل هي شموس غابت لن تشرق، لكنها حاضرة في حروفي ونبضي ووجداني أذكرها دوماً وتتجدد كلما جاء تاريخها.

هذا الـ(نايف) توفي أيضاً، ولي وقفة مطوّلة معه في نهاية الكتاب.

الشارقة ٢٠١٠/١٠/١٣م

القسم الثالث

قصص قصيرة جداً

ق. ق. ج

obeikan.com

obeikan.com

ويبقى الودّ

حين جاء دوري لختم جواز سفري مغادراً على الرحلة من الشارقة إلى حلب سمعت صوتاً نسائياً ينادي: الشاعر... الشاعر، تجاهلت النداء ثم تغير النداء إلى: أستاذ عبد الرزاق، فعرفت أني المقصود ، وتلفتُ حولي لأرى موظفة مبتسمة الوجه تسألني:

- أستاذي ألم تعرفني؟؟

نظرت إلى وجهها بخجل وأدب وقلت:

- عفواً، لا.

- معك حق فلم ترني منذ أربع سنوات ، أنا (....) إحدى طالباتك في التعليم المسائي والآن أعمل هنا.

وقامت لتصحبني إلى غرفة ضابط الحركة في المطار معرفة إياه بي فخصني الرجل ببطاقة الرحلة من فئة الـ vip وودعتني محملاً بالسلام لسوريا وأهلها، داعية الله أن يجعلها رحلة ممتعة وإجازة سعيدة وعودة ميمونة ، شكرتها من أعماق قلبي وقلت في نفسي: ويبقى الود.

منافسة

كان (أ....) صاحب أقل درجة لغة عربية في شعبة الشباب، لكنه متفوق في باقي المواد، في حين كانت (ف...) صاحبة أعلى درجة لغة عربية في شعبة الطالبات، حيث كنت أدرّسهما قبل قدومي للإمارات العربية، وبينهما من المنافسة ما يتعب المدرسين والإدارة ويشعل حرباً، ومضت سنوات دون أن أعرف عنهما شيئاً، خلال إجازتي الأخيرة رن هاتف البيت فتلقيت المكالمة وإذا بصوت رجولي يقول لي:

- أستاذنا الفاضل نودّ أن نزورك ونشرب القهوة معك إن كنت مستعداً.

قلت:

- على الرحب والسعة، لكن - عفواً - ذكّرني باسمك.

قال:

- طالبك سابقاً فلان.

حددنا التوقيت وأتى في موعده، كان برفقته سيدة، وطفل في السادسة ، وطفلة في الرابعة تقريباً، وبعد السلام والترحاب قال:

- أستاذنا نحن لا ننساك أبداً لكننا فاجأناك الليلة فأنا (أ....) ضابط برتبة نقيب، وهذه زوجتي (ف....) سابقاً أم أسامة حالياً، مدرّسة لغة عربية.

ابتسمت وقلت:

- الله! الله! هل ما زالت الحرب مشتعلة؟؟

obeikan.com

تسامح

حين تلقّى قيّم الكنيسة في حمص (إحدى المدن السورية) خبر وفاة رجل من طائفته ؛ كان عليه أن يقرع أجراس كنيسته حسب واجباته الدينية ويعلن اسم المتوفى وموعد الصلاة عليه وتشييعه ، لكن صوت خطيب الجمعة المنبعث من المسجد المجاور كان مجلجلاً، فما كان من الرجل إلا أن انتظر حتى فرغ الخطيب من خطبة وصلاة الجمعة ثم باشر مهمته ، ولما سأله أهل المتوفى:

- لمَ تأخرت في واجبك؟؟

فقال ببساطة وشجاعة:

- احتراماً لمن هم في المسجد المجاور.

بعد ساعات كانت الجنازة تسير برفقة أصدقاء ومعارف المتوفى من المسلمين والمسيحيين، أجل! إنه التسامح.

لـص

كنتُ قد أعطيت قصيدة غزلية رائعة إلى مدير تحرير إحدى المجلات لينشرها، ولكن على غير المألوف مضت أربعة شهور ولم أرها منشورة، فالتمسْتُ له عُذراً بكثرة النصوص وضيق المجال وتدخلات رئيس التحرير الذي يفرض عليه نصوصاً أخرى...

منذ أيام كنت في حفل عشاء عام فتقدمتْ مني إحداهن حيث تعرفني جيداً وأخرجتْ من حقيبتها ورقة ثم قالت لي:

- شاعرنا المبدع عندي قصيدة غزل خاصة أهداني إياها شخص مهم، وأنا أحتاجكَ لمعرفة رأيك بمستواها.

- هنيئاً لكِ بها.

ثم فتحتُ الورقة فإذا قصيدتي وقد اقتطِع منها الاسم والتاريخ.

قلت لها وقد أدركت سبب تأخر النشر:

- شخصكِ المهم لص محترف، ابتعدي عنه حتى لا يسرق قلبك الطيب كما سرق قصيدتي.

إيـلاف

حين تكلمتُ هاتفياً مع الأسرة في سورية كانوا على ذمة محدثتي يقفون طابوراً ليمسكوا سماعة الهاتف ، فأسمع أصواتهم وآنس بها، أصغرهم تجاوز دوره وتكلم وأسمعني وصاياه وضحكته ولم يقل لي كالعادة: خذ معك أختي وجاء الصوت يقول لي:

- مرحبا بابا فظننته مازال يثرثر معي كعادته.

قلت للصوت:

- أعطني الذي بعدك.

وجاءت السيدة الأولى لتقول:

- لماذا أهملت إيلاف؟ إنها تبكي بحرقة ما رأيتها من قبل.

آه! لقد خانني تمييز الصوت وكم رجوت أن تعود ثانية لأكلمها واعتذر، لكن مشاعر طفلة الستة أعوام جريحة من والدها الذي نسي نبرة صوتها، وحين أصرت على عدم التحدث معي رثيت لحالها وحالي فبكيت مثلها.

مونديال

تعالى الصوت في غرفة طعام المدرسين خلال الإفطار حيث ولاءاتهم الكروية متفرقة وتحليلاتهم وتوقعاتهم وأنا صامت، فاقتربت من أكثرهم هوساً بالكرة وسألته ببلاهة متعمدة:

- هل بدأ كأس العالم؟

فضحك وقال:

- ياعم اقترب الدور الأول على النهاية.

فسألت:

- أين تلعب الدول؟

فصرخ:

- اسمعوا شاعرنا يسألني أين يقام المونديال؟

فأردفت:

- ما المونديال هذا؟

فقال:

- أنت جاهل أم تتجاهل؟!

obeikan.com

سألته:

- متى ستلعب سورية ومصر؟

قال:

- أستغفر الله العظيم! (أنا حسيبلك الفطار وروّح)

وانصرف صديقي فسادَ الصمت وتابع الجميع إفطارهم بهدوء.

obeikan.com

درجات

حين دخل لجنة الامتحان ليلاحظ على طلابه الذين يحبونه جداً لكنهم لا يريدونه ملاحظاً عليهم، قال أحدهم مازحاً: خيييييبة. فابتلعها دون تعقيب، وقف كمرصد لا تفوته شاردة ولا واردة، ساد الصمت وباشر الشباب تدوين الإجابات، حاولوا الغش، منعهم بنظراته التي يعرفونها جيداً، أحرجهم وأحرجوه، أيتركهم للغش ويخون أمانته؟ أم يشدّد عليهم ويزعجهم؟ بقي صامتاً فارضاً هيبته عليهم حتى انتهى الوقت، ولما خرج الذي قال: (خيييييبة) أوقفتُه وقلتُ له:

- عزيزي أحمد هل أنا خيبة؟

خجل وقال:

- لا، أبداً ولكنها الدرجات.

صديقتان

كانتا صديقتين جميلتين يطلق عليهما الزملاء لقب (الثنائي الأجمل) ، الأولى رزينة تعرف خطوتها بثقة والثانية لعوب تعبث بعلاقتها مع الشباب مستغلة جمالها، وبعد التخرج في الجامعة وانقطاع الأخبار التقتا مصادفة في حفل زواج زميلة ثالثة ، يا للمفارقة!! كانت الأولى برفقة زوجها الصحفي المشهور ولها طفلة مثل القمر، والثانية كانت قد أجهضت منذ أسبوع بعد أن استسلمت بضعف لأحدهم فترك فيها دمه وأعطاها كمية نقود وفضيحة لا تمحو آثارها الأيام.

عيوني و الإبرة

كنت دائماً أضم الخيط في الإبرة لأمي وجدتي رحمهما الله حين كانتا تجففان خضار الصيف للشتاء ، حيث لم نكن نعرف الثلاجات الكهربائية ، فنجفف البندورة والباميا والباذنجان واليقطين صيفاً لإعادة طبخها في الشتاء، وكثيراً ما كانت جدتي تقول لي:

- ما شاء الله عيونك حلوة وقوية يا عبد.

تذكرت ذلك وأنا أحاول إصلاح كتاب نزعت طفلتي الصغيرة غلافه ، وأعطيت الخيط والإبرة لابني كي يقوم بالمهمة ، أين خضار الصيف المجففة؟ أين أمي وجدتي؟ وأخيراً أين عيناي اللتان كانتا تضمان الخيط بالإبرة؟؟ لقد عمل الزمن فينا عمله.

زواج الـ SMS

باح لي أحد الأصدقاء بكيفية التعبير عن حُبه لإحدى بنات الجيران من قريته الريفية، فقد كان يمر من جانبها وهي عائدة من الحصاد فيشم رائحة ثوبها المتعرق كأنه أحلى عطر في الكون، ويسعد كثيراً حين كان الهواء يداعب ثوبها المنشور على حبل الغسيل، كما كانت كلمة السر للمحبة هي إطفاء وإشعال الضوء مرتين في شرفة البيت، وأنه يتذرع بالعطش حين يراها على النبع ليشرب من يديها بخجل، ثم فاجأني بقوله:

- تخيّل يا أستاذ أن ابنتي التي أرسلتها لتدرس خارج البلد أرسلت لي رسالة بالهاتف تقول فيها: بابا إن (البوي فرند) الذي أحبه صار زوجاً لي، ومتأسفة لأني ما خبرتك، (بليز) ضاعف لي مبلغ الحوالة التي ترسلها لي (إيفري مونث).

ديوك قريتنا

عندما طلع الصباح برائحة الندى والأمل وانزاحت كوابيس الليل من الأفق، كان ديكنا يقف على الحائط نافشاً ريشه الملون مطلقاً صياحه المستفز لديك الجيران، وحين تحاورا قال ديكنا:

- أنا الذي صحت فأتى الصباح.

ردَّ ديك الجيران:

- بل أنا الذي أتيتُ بالفجر.

سمعهما ديك آخر فادَّعى أنه سبب قدوم النور وقهر الظلام، وبدأت معركة النقر ونتف الريش وجريان الدم، وتوقف عند الديوك طلاب المدارس والفلاحون الغادون للحقول والرعاة المبكرون للمراعي والصبايا المصابحات للنبع ورئيس المخفر ومدير الجمعية والمختار وزعيم الحارة الشمالية وكبير الحارة الشرقية ومدير المدرسة و.... كلهم يتساءلون عن سبب قتال الديوك، لكن المشكلة أن كلاً من هؤلاء السائلين يظن نفسه الديك الذي أتى بالفجر من لُجة الليل الأدهم.

يمين صادقة

الأسبوع الماضي طلب مني أحد الأدباء في سورية إرسال قصيدة قديمة لي بالإيميل أو إعادة نشرها في أحد المنتديات (وهي بمناسبة قدوم مولودنا الأول) أجبته:

- أنا يا عزيزي أعيش الآن إرهاصات مولود جديد متأخر.

فأقسمَ - وهو الخبير - إما أني أحبّ، أو على وشك طباعة ديوان جديد.

قلت له:

- لم تحنث بيمينك أبداً يا صديقي، وأحد الاحتمالين صحيح تماماً.

خاتم فرح

أجبرتْه - وهي التي تعرف كيف تنال ما تريد - على شراء طوق ذهبي جميل وثمين، لكنها لم تكنْ تسعد بلبسه أبداً فتحسه حبل مشنقة في جيدها الناعم، أما الزوج الذي رضخ لها فلم يكن مستمتعاً بمرآه عليها، كان في صندوق مجوهراتها خاتم بسيط رخيص اشترياه بفرح مشترك يروق مرآه للاثنين، وتبتسم السماء والأرض لدى ارتدائه.

من حيث لا يحتسب

عندما فزتُ بجائزة أدبية ووصلتني قيمتها المالية دون أن أحتسب ؛ فرحت كثيراً ، أمس كنتُ أقف على إشارة المرور الحمراء وتصادف مرور عامل النظافة من جانبي وهو يجمع بعض المهملات من الرصيف فأرخيتُ زجاج النافذة وناديته وأعطيته شيئاً ما ، ثم اخضرّتْ الإشارة فمشيتُ وتركته ينظر إليَ باستغراب وفرح ، فقد أتاه شيء ما دون أن يحتسب وجعلته يعيش نفس الإحساس مع اختلاف المعطيات والتفاصيل.

الآن فهمت

في حقول القمح التي نزرعها وما نزال، كنت وأنا طفل أرى السنابل المثقلة تنحني، والسنابل المريضة الفارغة تتطاول، وعندما سألتُ أبي - أطال الله عمره - عن السبب قال:

- يا بنيّ هكذا الحياة، غالباً ما ترفع من لا يستحق وتخفض أهل الرفعة.

بصراحة لم أفهم كلام والدي يومها، لكنني اليوم فهمته جيداً.

مجرد لَعِب

كلما ناديتها لنلعب تحت شجرة التوت عندما كنا صغاراً كانت تأتي بسرعة ، ولما صرتُ في المرحلة الإعدادية دعوتها لنلعب فرفضتْ، واشكتني لوالدتي - رحمها الله - التي لامتني كثيراً، وبعد أن صرت أصغر معلم في مدرسة قريتي تذرعتْ بتوصيل أخيها للمدرسة ورأتني فقالت لي:

- أستاذ ألا تريد أن نلعب كأيام زمان؟

خجلتُ وتلعثم لساني وأشرتُ صامتاً بالموافقة ، ضحكت وقالت:

- طيب! إذاً عليك أن تطلبني من أهلي.

زيارة صفية

قال لي مدرس تاريخ إنه سأل طلاب الصف الثامن خلال زيارة المدير له في حصة مشاهدة وتقييم: من هو الذي قتل الخليفة العباسي (المتوكل)؟ وتوقع أن يأتيه الجواب، ولكن الطلاب سكتوا وصاروا ينظرون إلى بعضهم فأمر المدرس طالباً توسم فيه الخير كي يجيب فرد الطالب:

- والله يا أستاذ لست أنا.

فظن المعلم أنه يسخر منه وسأل طالباً آخر فأنكر، وثالثاً فأجاب بنفس الجواب، فقال المدرس للمدير إنهم يسخرون مني ومن التاريخ فقام المدير غاضباً وقال للمدرس:

- أستاذ هل أنت متأكد أن الذي قتل المتوكل الذي تقول عنه موجود داخل الصف لأعاقب كل الصف حتى يعترف المذنب؟!

هنا سكتَ المدرس وتيقن أن الخليفة العباسي وكل الخلفاء والتاريخ كانوا أحياء ولكنهم ماتوا في تلك اللحظة.

عالم فيزياء جديد

كنت أشرح قصيدة مؤلفة من خمسة أبيات لأبي العلاء المعري في الصف الحادي عشر الأدبي بإحدى المدارس (الأبيات للشرح فقط وليس للحفظ)، والطلاب شاردون غير مبالين، فقلتُ لهم متعمداً:

- إن المعري كان من أشهر علماء الفيزياء النووية في العصر الجاهلي وإنه....

والطلاب ينصتون دون اعتراض وكتبت العبارة على السبورة ولم يعترضوا، ثم أردت أن أسألهم سؤالاً يلفت انتباههم فقلت متعمداً الغلط:

- متى سيلعب نادي ليفربول الإسباني مع جوفنتس الألماني؟

فاعترضوا جميعاً وباشروا بتصويب الغلط واتهموني بقلة الثقافة وعددوا لاعبي ليفربول ومن في خط الوسط والدفاع والهجوم، وكم مرة أحرز لقب الدوري الإنجليزي وكأس الأندية الأوربية و..... فرميتُ الطباشير من يدي وجلستُ أتأمل كيف سيكون المستقبل إذا كان الحاضر هكذا، وقلت في نفسي: مسكين أنت يا شيخ المعرة لا يعرفك أحد هنا؟!

حياة زوجية

دعاني أحد طلابي لحضور حفل زفافه في أحد فنادق دبي الفخمة حين كنت هناك، كان ما حولي يشبه ألف ليلة وليلة، وقال لي إنَّ تكاليف الحفل بلغت ٣٨٠ ألف درهم ، وإنَّ العروس إحدى قريباته ، وإنَّ شهر العسل سيكون في لوزان بسويسرا خلال الصيف ، فباركت له متمنياً له حياة زوجية سعيدة وخلفة صالحة، وبعد ثلاثة أشهر فوجئت به يسلمني بطاقة دعوة لحضور حفل زفافه في فندق جديد أكثر فخامة من السابق فتساءلت باستغراب:

- لقد تزوجتَ من ثلاثة أشهر؟!

فقال:

- خلّيها تولِّي، طلّقتُها...

جوائز أوسكار الكذب

لكل فن أو سلوك جوائز، وجوائز اليوم أعلنتها لجنة تحكيم (أوسكار) الكذب وقد فاز فيها:

أولاً- (شاعرة) عربية استخدمت أناقتها وأنوثتها لحشد المجندين حولها، فكتب لها أحدهم وضبط بالشكل ثانيهم وأوصى عليها المطبعة ثالثهم ونشر دراسة نقدية عنها رابعهم، ولما دعوناها لتلقي شعراً على أحد المنابر ذاب الثلج وانكشف المستور فاستحقت مع جنودها (الجائزة الثالثة مناصفة).

ثانياً - (ناقد) عربي يشتم بعض الشعراء الغائبين في مجالسه الخاصة والعامة بحضرة شعراء آخرين ، فإذا خرج الآخرون شتمهم بحضرة الغائبين، وقال عنهم إنهم لا يجيدون مصراع بيت وشعرهم هراء، فإذا اعتلى أحد هؤلاء المشتومين المنبر وعقب ناقدنا عليه رفعه للسماء ونفخه كالمنطاد، ورأى فيه فتحاً شعرياً لولاه ما صاح

الديك ، وجعله فارس الكلمة وسيد الكلام وعلماً في رأسه نار فاستحق (الجائزة الثالثة مناصفة).

ثالثاً - (عالم) دين وواعظ مشهور يطل من فضائية لأخرى مباشر وإعادة وينصح ويتباكى على حال أمتنا ، ويستعطف القلوب بصوته المتهدج، ويستهوي البنات والعجائز بشخصه ووسامته ، وعندما التقيته شخصياً في إحدى المناسبات كان يطلق العنان للسانه المبتذل وعيونه الظامئة للجنس ، وجيبه العابد للمال ، وتعليقاته التي يستحيي منها أبناء الشوارع ، فاستغربتُ من انفصام شخصيته وازدواجيته في الحياة فاستحق باقتدار (الجائزة الثانية مناصفة).

رابعاً- (زوج)- لا يهم أكان ذكراً أم أنثى - يدَّعي حبه لزوجه وتعلقه به والوفاء له والغيرة عليه والعفة عن كل ما سواه في الظاهر ، أما في الباطن والقلب فكاره ونادم ومتأفف وطامح لتجربة أخرى، وله خلان الوفا وإخوان الصفا وأسراره الخاصة بنية أو وردية وأحياناً تصبح حمراء ، ويتابع حياته في نفاق وخداع وغش ورياء للشريك فاستحق أو فاستحقت (الجائزة الثانية مناصفة).

خامساً - (حاكم إحدى الدول) في أقواله يدعم الديمقراطية ونزع الأسلحة الفتاكة، ويدعو لحقوق الإنسان والسلام العالمي وحرية الفكر والإعلام ، أما في أفعاله فقواته تحتل دولاً احتلالاً عسكرياً مباشراً ودولاً احتلالاً غير مباشر ، ودولته أكثر الدول انتهاكاً لحقوق البشر ، وأبادت الهنود الحُمر وعنده (جوانتنامو)، ويشفِّر بث الفضائيات التي لا تروق له ، ويتستَّر على الأسلحة الذرية والنووية لحلفائه، ويتحالف مع الديكتاتوريات والانقلابيين لتحقيق مصالحه ، وينطبق عليه القول: أرى أقوالك تعجبني وأرى أفعالك أتعجب فاستحق بجدارة حمل (الجائزة الأولى).

سادساً – ملحوظات:

- مع اعتذاري لكل الشعراء والنقاد والعلماء والحكام الرائعين الذين لم ينالوا جائزة الكذب وآمل ألا يحصلوا عليها.
- بقيت بعض جوائز الترضية أرجو من القراء الأعزاء توزيعها بمعرفتهم لمن يستحقها.

أمـل

خلال كارثة منجم تشيلي الذي سد طريق خروج العمال فيه قبل ستين يوماً واعتبرت الحكومة العمال في عداد المفقودين، ولدت زوجة أحدهم طفلة وسمتها (jamara) يعني (أمل) بالعربية، فأهداها الرئيس التشيلي باقة ورد وربت على كتفها ، ثم خرج والدها ناجياً ، وتحقق الأمل ، إنها فراسة الأم وأهمية الإنسان - طبعاً عند الأجانب - ونحن لنا الله، ففي حادث سير وقع مؤخراً في إحدى بلداننا لا يبعد عن المشفى أكثر من ١٠ كم؛ نزف المصاب حتى الموت ولا من مسعف ولا من شرطة ولا من يحزنون ولا يفرحون.

ناقد

حين قدّم رئيسُ الجلسة الضيفَ الجهبذ الذي استقدمته الوزارة من بلاده بتذكرة vip وإقامة فندقية خمسة نجوم بدأ محاضرته النقدية بقوله:

- إن الولوج إلى ماهية السيكولوجيا في مرحلة الانعطاف البنيوي يضطرنا للوقوف على تموسق الأيديولوجيا خلال تبني فرضية التركيز على موضوعية المبنى وذاتية المعنى، بحيث تتمحور الرؤيا فيما وراء الأشياء وفق مدارات إهليلجية الحركة، وبالتالي يمكننا الإحاطة بجوهر الترسيم التذوقي لمجالات التحليل النقدي.

سألتُ نادل الفندق الذي يتجول بين الطاولات:

- هل فهمتَ شيئاً؟

قال:

- لا.

قلت:

- ولا أنا.

دكاكين للشـرف

كنت أدرِّس إحداهن خلال دراستها الإعلام مقرر اللغة العربية ، وبعد تخرجها سجلتْ للماجستير ، وحين اختيار الأطروحة قالت:

- أستاذي القدير ألِّف لي الرسالة من ألفها ليائها مقابل مبلغ من المال - حددته بسخاء وإغراء - وأنا سأحفظها وأفهمها لأناقش فيها.

فرفضتُ حفاظاً على شرف المهنة ومكانة العلم ومصداقية الشهادات ، لكنها بعد رفضي أعطت رُبع المبلغ لأحدهم ففعل ، حينها رأيت أن على الحكومات أن تسمح بترخيص دكاكين لبيع الشرف ، فهو سلعة مفقودة ومطلوبة ويمكن أن تحقق مستوى قياسياً في المبيعات ، بعروض سخيّة مثل: اشترِ صندوقي شرف واحصل على الثالث مجاناً.

سيف

أخيراً اتصلتُ بالأسرة لأطمئن عليها، ولما جاء دور (سيف) ذي الخمسة أعوام في الكلام، وقد دخل الصف التمهيدي، قال لي على الهاتف بكل محبة وبراءة:

- بابا أنت كذاب.

ضحكتُ من قوله وسألته:

- لماذا؟

قال:

- لمَّا سافرتَ قلتَ لي ستعود بعد عشرة أيام، وصار جاءت الجمعة أربع مرات وما رجعت، يعني العشرة أيام أكثر ولا الأربع جمعات؟

انعقد لساني ولم أردّ عليه، وحين وصلت دمعتي المالحة الساخنة لزاوية فمي أيقظت فيّ الكلام فقلت لنفسي:

- سيف صادق وأنا الـ.....

obeikan.com

القسم الرابع

فقاعات فيسبوكية

obeikan.com

obeikan.com

بسريّة تامة

من إنجازات الحالة السورية المبدعة أن المؤتمرات والاجتماعات صارت تنتهي بقرارات سرّية، طيّب مادامت سريّة فهي مثمرة؛ لأن كل ما نحن فيه نتيجة لأمور سرية.

أمس عقدت مع إحداهن اجتماعاً سرياً في مكان سري وقمنا بأعمال سرية واتخذنا قرارات سرية، وعليكم انتظار النتائج فانتظروا.

جدار سوري

كتب عليه بعض الأطفال: الشعب يريد إسقاط النظام، ثم جاء آخرون وكتبوا: للأبد للأبد يا بشار الأسد، وجاء آخرون ليشتموا النظام، فجاء غيرهم ليمدح النظام وجاء وجاء وهكذا...

أخيراً جاء جنود الجيش السوري وهدموه بكل الأسلحة المتاحة والمحرَّمة فاستراح من الفريقين.

obeikan.com

وطن

كثيرون هم المارّون في دروب الزمن والأحداث، وقلة هم الباقون في البال، كثيرة هي البلاد في الخارطة، ووحده هو الوطن تقع عيوننا عليه، كثيرة هي الإناث لكن النساء قلة، وممتعة هي نِعم الحياة لكن العافية هي أكبرها.

obeikan.com

غربة

كثيراً ما تعضنا الغربة فنكتم صرخة الألم، وكثيراً ما يستبد بنا شعور بالاغتراب الجغرافي والمهني والعاطفي رغم كل الحياة النابضة التي نخوض غمارها ، حينها تتحول الحدائق رملاً والمطر مجرد غيوم والأماني دفق سراب كذوب، ونحن نصبح طيوفاً ضاعت ملامحها بين جحيم الوطن وتنهيدات الغريب.

إعدام متأخر

فيا موتُ زرْ إنّ الحياةَ كريهةٌ

ويا نفسُ جِدّي إنّ دهرَكِ هازلُ

هكذا قال أبو العلاء قبل أكثر من ٨٠٠ سنة، واليوم في خضمِّ الحرب العمياء وفوضى القرار يضيق بعض الذين يفهمون الدين والتاريخ بطريقة مغلوطة بوجود تمثال لمن أعطى المعرة شهرتها من خلال اسمه، فيحكمون عليه بالإعدام، أبا العلاء لا تجزع فقد ولدتَ من جديد كما كل الضحايا في سورية، وسنقيم لك صرحاً من ضلوعنا.

صابطون

كثيراً ما يضيق بنا الكون والنفس، كثيراً ما نحس باقتراب جدران الغرفة منا لتنطبق على جوارحنا الضعيفة، كثيراً ما نظن أننا خارج دائرة الحياة رغم كل مشاغلنا، كثيراً ما نحسّ أننا صدى دون صوت وأننا في دورة الزمن متفرجون فقط، كثيراً ما نرى طموحاتنا أكبر من واقعنا، كثيراً ما. كثيراً ما. لكن يبقى الأمل صابوناً يغسلنا ليجدد أنفاس الأمل.

سجيظن

حين أطلقتُه معطياً له الحرية، طار في جهات الدنيا الأربع، أخذني في دروبٍ خطيرة، هدمَ الحواجز ومزّق الستائر واقتلع المطبات وعبرَ الحدود، واقترب بي من حدود المستحيل، خفتُ أن يسيء الناس فهمي ويتهموني بالجنون، فأعدتهُ للقفص وسجنتهُ وما زال يتململ... إنه خيالي وحلمي.

غلاء و رُخص

فقاعة اليوم:

لأنك تستهين بكرامتي وتسحق إنسايتي، وليس لي فيك فرصة عمل، وأحاول التقرب منك فتدير لي ظهرك، وأحاول تعديل اعوجاجك فتسفك دمي، تعيش في قلبي دون أن أعيش فيك، كيف سأدعوك وطني؟؟ وهل جواز السفر يكفي لتمتلكني أيها الذي أغليه ويرخصني، أُحبك جداً أيها الذي يسمونك الوطن.

يوم المرأة العالمي

مخطئون من جعلوا للمرأة يوماً واحداً في السنة، فهي محور دوران هذا الكون وملهمة الشاعر والفنان، وهي البنت والأم والزوجة والصديقة والحبيبة والمربية والشريكة في إدارة قطار الحياة، وأهميتها ٣٦٥ وربع اليوم في السنة، ومن يعترض على كلامي فليتخيّل هذه الدنيا يوماً واحداً من دون نساء.

obeikan.com

سيطن جيطم

يسألني الـ (فيسبوك):
- كيف تشعر؟؟
وأجيبه:
أشعر أنني اللاشيء في اللاشيء من لا شيء أو أصغر.
وأن الحبّ عادَ الكذبة الكبرى... أو الأكبر.
وأن أصابعي كالظل في وقت الضحى يصغر.
وأنّ الموطنَ الغالي مع الأيام يتصحّر.
وفي وطني... يذبحون العصافيرَ دونَ سببْ.
وكلّ القماشِ لها كفنٌ مرتغبْ.
يا دماً في بياض الطفولة مهلاً.
فبعضُ العصافيرِ تنسجُ من ريشها جبّةً من غضبْ

obeikan.com

رسالة

السيد الرئيس الدكتور بشار حافظ الأسد:
"منذ عشرين سنة وأنا تارك لك سوريا وأعيش مغترباً لأبحث عن رزقي الحلال بكرامة، وبمناسبة هدم بيتي أود توجيه الشكر لك وللضابط الذي أمر وللجندي الذي نفذ الهجوم، لأن هدم بيتي جعلني أشعر بأنني مواطن سوريّ بامتياز، فأنا كبير بعلمي وأدبي وكفاحي وغربتي ووطني، وبقصفك لمنزلي جعلتني أكبر".

لا تظنوني وحيداً... إنني في زحمة العمرِ مبعثرْ
بين أكداس همومي. ينبتُ العشبَ على سفحِ ضلوعي
أتعالى كالنخيلْ. وألون من ورود الأرض دمّي
كي أرى الشام بخيرٍ. لا تظنوني وحيداً
كلكمْ في رفة الجفنِ حضورْ. غير أن الظرفَ صعبٌ
ورحى الأيام في روحي تدور.

حُلم طفولي

ابنتي إيلاف ذات الـ ١٠ سنوات أفاقت أمس من نومها وروت لي حلمها، بأنها رأت ياسمينة بيتنا في سوريا يابسة.

إيلاف هذه كانت وبمجرد دخول ضيف إلى بيتنا تذهب للياسمينة وتقطف من بياضها العاطر ملء كفها الصغيرة وتأتي لتضعه في يد الضيف فتعبق في المجلس رائحة الياسمين والطفولة.

ياسمينة بيتنا يبست في الحلم، وأظنها كذلك في الواقع بعد قصف البيت بقذائف الحقد الإجرامي ، ومغادرة أهله وعطش أشجاره من قلة الماء، ومن الشوق لوجوه الغائبين.

حتى وإن

حتى وإن هاجتْ مياهكَ يا بحرْ.

حتى ولو عصفتْ رياحُ الغربِ والشرقِ ومن كلّ الجهاتْ.

حتى وإن غرقَتْ خريطةُ موطني بالدمّ والآهاتِ والحقدِ الدفينْ.

حتى وقد أهلوكَ تاهوا في مساربِ موتهمْ بالبرّ والبحرِ وشتّى القاتلاتْ.

حتى وإنْ، حتى ولو، حتى وقد...

تبقينَ يا سوريّتي دفءَ الوطن...

يوم الكذب العالمي

يقولون: هناك يوم للكذب يصادف الأول من نيسان (أبريل) كل سنة.

يا إلهي كم نحن مساكين! للشعوب يوم واحد فقط للكذب، أما نحن ففي الحب كاذبون، في القول والفعل كاذبون، حتى في عباداتنا كاذبون ، في مواعيدنا ، في أسعار السوق ، في التخفيضات التجارية ، في تعاملاتنا ، في نشرات الأخبار ، في حالة الطقس، في أسعار الهدايا، في بيانات القمم العربية، في أحلامنا ويقظتنا كم نحن مساكين!! نعيش كل أيام السنة كذباً، ليت للكذب يوماً واحداً فقط...

خارطة

منذ مدة دخلت في زيارة عمل إلى إحدى مدارس الحلقة الثانية (المتوسطة) للبنات في دبي، رحّبت المديرة الفاضلة بي وسهّلت لي مهمة العمل جزاها الله خيراً، ولفت انتباهي رفّ للكتب على شكل خارطة دولة الإمارات العربية المتحدة، استأذنتها بتصويره معترفاً بمحبة الإمارات في قلوب الجميع، متألماً لخارطة وطني المنكوب سوريا التي اصطبغت بالأحمر والسواد الحزين، التقطتُ الصورة لأحفظها في بطاقة وسائط هاتفي المحمول، أما صورة وطني فهي محفوظة في مكان آخر أهمّ وأكثر بقاءً ودفئاً؛ في القلب.

اشتياق

حين جاءتني حروفها تسألني:
- كيف الحال؟
- مشتاق.
- لمن؟
ذكرتُ القائمة الطويلة من مواطن اشتياقي التي منها: وطني والسلام والحرية ، وبيتي الجريح بالقصف الغادر ، والمطر والياسمين وخبز التنور الساخن وأبنائي وكفّ والدي الخشنة وقبر أمي الصامت وأشياء أخرى... ثم سألتها:
- وكيف حالك؟
فجاءتني حروفها لتقول:
- أنا على شاطئ البحر أشكو اشتياقي للفراغ.
ثم سألتها كما سألتني:
- ولمن تشتاقين؟
- لن أعدّد مواطن الشوق مثلك، أنا أشتاق إليك، إليك فقط.
وساد الصمت.

obeikan.com

تعريفات

الحظّ: عكازة منخورة نتوكأ عليها ونستسلم لها حين لا ننجح.

الليل: كان سكوناً ولباساً فصار ضجيجاً ومعاشاً لكنه باختصار؛ نصف العمر.

القمر: لتشبيه الجميلة ونور الليل، لكننا لا نفطن لرؤيته إلا بداية رمضان ونهايته.

الحمار: حيوان مظلوم جداً لدى البشر، فبعضهم لم يصلوا لمرتبته العالية بعد.

المرأة: (بصراحة) تعريفها صعب جداً أريد من يساعدني في تعريفها...

obeikan.com

تغيرات الزمن

كنا نقول أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة. الآن أصغر منك بيوم أعلم منك بسنة بالوتس آب والتويتر والإنستغرام والسامسونغ وأنواع الهواتف ومواصفاتها...

كنا نقول مع الشاعر: وخير جليسٍ في الزمان كتابُ. الآن نقول: وخير جليس في الزمان إنترنت.

كنا نفرح لرؤية ساعي البريد يعطينا رسالة ورقية مغلقة من حبيب بعيد. الآن نفرح لتنبيه أو إضاءة تخبرنا بورود رسالة أو صورة أو دخول أحد مجال التواصل الإلكتروني.

كنا نحلم بتوحيد العراق مع موريتانيا واتحاد البحرين مع تونس لتشكيل الأمة العربية الواحدة، واستمرت الخديعة طويلاً، نحن الآن نحلم بتوحيد حمص مع حماة، وحلب مع إدلب، وبغداد مع الأنبار، والصعيد مع القاهرة، بل نحلم بجمع وتوحيد حارتنا الشرقية في القرية مع الحارة الغربية، والتغيرات قادمة.

ظرف مكان

على بُعدِ دبابتين وحاجزْ.

يكونُ اللقاءْ...

ومن بعدِ قصف البراميل عند الصباحِ وبعد المساءْ.

سألقاكِ والوقتُ عاجزْ...

وبين القذائفِ والراجماتِ الخجولةِ أرسمُ شكلَ الشفاهِ ولون الخدودِ وعطرَ النقاءْ...

واحمل سيفي القديمَ أنادي: تعالي نُبارزْ.

obeikan.com

سؤال طفولي

يسألني ابني (سيف):

- بابا ماذا يعني اسم سورية؟

قلت له بمفهوم الأطفال:

- تعني الشمس.

فقال:

- الشمس تغيب وتطلع.

قلت له:

- يا ولدي قد يتعكر صفوها ويتغبّر وجهها وترمد عيونها وتجوع وتتشرّد وتتحمّل غدر الشقيق وجفاء الصديق وقطيعة الرحم وعقوق الأبناء و.... كل المآسي والأخطاء، ولكن سورية لن تغيب.

obeikan.com

تشابه و اختلاف

سألتني إحداهن:

- ما وجه الشبه بين المرأة والقصيدة؟؟

قلتُ:

- كلاهما تتجدّدان عقب كل قراءة، وتتلوّنان بحضور الآخرين وتعاندان من يحبهما مع احتياجهما إليه، وتريحان النفس كالمطر بعد الظمأ ، وتنبعان خصوبة على مرِّ الزمن ، وتعودان للعش بعد ارتحال ، وتحتاجان لغيرهما ليكبر حبهما...

الاختلاف الوحيد بينهما: هو أن الناس يصفقون للقصيدة بعد تشريحها وسماعها ، لكنهم يصفقون للمرأة قبل التلاشي في تفاصيلها.

خلطة عجيبة

تفاجأت إحدى السيدات الإماراتيات حين قابلتْ زوجتي وتحدثت معها بنقاء لهجتها السورية التي تشبه حسب تعبيرها (لهجة المسلسلات السورية)، ثم سألتني:

- أما أنت فلماذا لهجتك خلطة عجيبة من سوري عراقي مصري خليجي مغاربي أوردو إنجليزي؟

قلت لها:

- لأن زوجتي ما خالطت هؤلاء الأقوام الذين ذكرتِهم، أما أنا وبدون تخطيط مسبق مضطر للتعامل مع كل هؤلاء، وأخذت منهم وأعطيتهم، فصار لساني كما تعرفين، أما في البيت فإن لهجتي مطابقة إلا قليلاً للهجة زوجتي.

القسم الخامس

أوجاع مقدَّرة

obeikan.com

obeikan.com

صباحكِ ثلجٌ

إلى روح شقيقتي أديبة
التي توفاها الله صبيحة الأربعاء ٢٠١٦/١/٦م

• • •

صَباحُكِ ثلجٌ وبردٌ وصمتْ.
وَيا قريتي الشّتويّة في طولِ ليلِ الكوانينِ...
في شايِ جلستِهم، في اجتماعٍ وَبحُّة صَوتْ.
وتلكَ العصافيرُ حينَ أفاقَتْ وطافتْ حُدودَ المكانِ الأليفِ.
تعالتْ وحَطّتْ على صفحةِ الثلجِ...
غَيرَ آبِهَةٍ بالنّشيجِ وَأنَّ جديداً وَقعْ...
وأنّ الذي جاءَ هذا الصّباحِ مَعَ الثلجِ مَوتْ.
بارداً أيّها الموتُ جِئْتَ إليها...

obeikan.com

كأنّكَ تُخفي سوادَ فعالكِ تحتَ بياضِ الرّداءِ المحبّبِ طولَ الزّمانْ.
وأنتَ تغطّي آثارَ أقدامِها في وحولِ أخيكَ المطرْ...
وتَمحو خطواتِها من زوايا المكانْ.
ها هُنا بيتُها...
وردُها...
ثوبُها، خبزُ تنّورِها...
ما يزالُ دفيئاً يسافرُ كالغيمِ في كلِّ دربٍ.
ويَعبقُ في جوعِ ذاكرةِ المشتهينَ...
كريحِ الجِنانْ.
أحلامُها حيثُ ما عادَ للحُلمِ أيُّ امتِدادْ...
فما عَرفَتْ نكْهَةً للأمُومة.
وما رُزِقَتْ من ينادي: أمّي...
هكذا رَحلَتْ دونَ أنْ تتركَ مِنْ دَمِها بِضعَةً في مسيرِ الحَياة...
لها نفْحَةٌ من كُرومِ الروابِي وقمحِ البيادرْ.
لها جذرُ زيتونةٍ غرَسَتْها بذاتِ خريفٍ على أملٍ للمعاصِرْ .

ولها في مُحيطِ البيوتِ غصونُ صَنوبرْ.
ولَوزٌ وسُكّرْ.
وطِينٌ تجَدّدُهُ بِيديها غَداةَ رحيلِ الشتاءِ معِ النّسْوةِ الماهراتِ بتجديدِ عُمْرٍ قديمْ.
فيصْبِحُ بعدَ اصفرارِ المساحاتِ أخضَرْ .
ودَاليةٌ مِن تَجلّي العناقيدِ فوقَ الرّؤوسِ...
إذا خَطَرتْ تحتها خشيةَ شمس الظهيرةِ قبلَ أذانِ العصرْ .
لها الجُودُ يَحكِي رجالاتِ طَيّئَ دونَ انقطاعٍ ودونَ نفادْ.
لها رحْمَةُ اللهِ في وُسْعِها حين يجْحدُ أختي كلُّ العبادْ .
لها ظِلّها بعدَ وقتِ الزّوالِ لتجْميعِ جاراتِها في حديثِ التفاسيرِ...
في طولِ مَتنٍ وضعْفِ السّندْ.
وماتتْ أخيراً وما مِنْ أَحَدْ.
سَتفْقدُكِ الشّمسُ حينَ الشروقِ وحينَ الغروبِ على كرْمِنا المُتثائبِ...
غربَ الطريقْ.
وتَبكي بأغصانِها جَوزةٌ شَربتْ من يديْكِ الزلالَ...

كأنكِ أمٌّ تُروّي أبناءَها مِن حَليبِ الحُلُمْ...
ثمّ تُيْبِسُ أغصانَها حَطباً للحَريقْ.
سَتبْحَثُ عَنكِ سِلالُ العِنبْ.
وأُرجوحةٌ في فَناءِ الظّلالِ عَقَدْتِ حِبالَ المَودّةِ فيها لأطفالِنا.
لا عَجَبْ.
سَتَبكيكِ كلُّ الدّروبِ التي قدْ مشَيْتِ عليها...
فثلجُ الشتاءِ مَحَا أثراً حينَ جاءْ.
ويَبكيكِ صَوتُ المُؤذّنِ حينَ تُلقي يداكِ لهُ سُجّادةً للصلاةِ...
بُعَيْدَ النِّداءْ.
سَيَبكيكِ أرشيفُكِ الورقيُّ وذاكِرةُ الهاتفِ اللّاذكيِّ...
يوزّعُ ميراثَ طَيفِكِ بَينَ العيونِ.
فمَا لِطيوفِكِ بعدَ غِيابكِ - يا وجعي - وارثون.
سَتبكِيكِ هَذي الحياةُ...
وتَهتزّ كلُّ زُجاجاتِ ذاكَ الدّواءِ الذي خَانكِ اليومَ عِندَ حُضورِ المَلَكْ...
وَأَمسَكَ خَيطاً لِروحِكِ في إِصْبَعيهِ وَشَدَّ بِصَمتٍ...

فأسْلَمْتِ آخرَ أنفاسِكِ المُتعَباتِ بِنَفْسٍ رَضِيّة.

ومِنْ غيرِ صوتٍ وتأجيلِ مَوعِدكِ المُتَسَطّرِ في دفترِ اللهِ يومَ وُلِدْت...

وَيومَ أغْمضْتِ عَينيكِ في غَفوةٍ أبديّة...

وَيَومَ تَعُودينَ في الحَشْرِ حَيّة.

وَكانَ العَزاءُ خَفِيفاً سَريعاً...

فَلا وقتَ حينَ القذائفُ تبصُقُها الطائراتُ عَلينا.

وَنحنُ وراءَ الحدودِ وتأشيرةٍ للخروجِ ومَنْعِ الدّخولِ بَكَيْنا ، بَكَيْنا.

وَحَربُ العشيرةِ في حُمْقِها الدّمَويِّ اسْتبدّتْ بخمسِ سنينٍ...

وَبَعثَرتِ الإخوةَ الأقرباءَ فصارَ الإيابُ بذاكَ الصّقيعِ خُيولاً تُرابِطْ...

وَخَلّتْ يَتاماكِ - يا أُخْتُ - في قَبضَةِ الرّيحِ خلفَ الخَرائِطْ...

وَكَيفَ أُصَدّقُ أنّكِ مُتِّ؟؟

وَمازالَ صوتُكِ في مسمعَيّ ، وَفي هاتفي ، وَفي صَرّةِ القَلمِ المُستَبِدِّ بروحي؟

وَمازالَ حَبْلُ الغَسيلِ يُسائلُنا عَنْ أصابِعِكِ الزّاحفاتِ...

عَلى طولِهِ قَبلَ نَشرِ الملابسِ بعدَ الحَصادِ...
وَبعدَ قطافِ المواسمِ في فقرِها الأبديِّ الجميلْ.
وَكَيفَ أُصَدّقُ أنّكِ مُتِّ؟؟
وَمازالَ بيتُكِ يُومِئُ كي نتوضّأَ في نُورِهِ قبلَ كلِّ صلاةٍ؟
وَمازالَ صَحنُ الطّعامِ يطوفُ بِسَابعِ جارٍ شَهِيّاً طَرِيّا؟
يُعَلّمُ أحفادَ (حاتمَ) أبجدَ الجُودِ في السّنواتِ العِجاف؟
وَكَيفَ أُصَدّقُ أنّكِ مُتِّ؟؟
وَأنّكِ في سَطْوةِ الثلجِ فينا لَبِسْتِ الكَفَنْ؟
وَفي ساعةِ الروحِ خارَ الزّمَنْ؟
وَأنّ تَواتُرَ أخبارِنا العاجِلاتِ أتانا سَريعاً...
وَأَخْبَرَنا بالتّفاصيلِ خلْفَ الحُدودِ، أجلْ...
فالتّفاصيلُ مَعروفةٌ للجَميعِ...
نهاياتُها واحِدة.
وَأنتِ الفقيدةُ والفاقِدة.
وَأنّكِ الآنَ في غُربةِ القبرِ وحدَكِ بعدَ اِجتماعْ.
وَأنّ اجتهادَكِ في الحُلمِ والبيْتِ أوْ في الأُمومةِ ضاعْ.

وَأنّ طريقاً لِقبرِكِ مُزدَحِمٌ بالرّجالِ الذينَ يَعودونَ لِلدِّفءِ والأهلِ...

وَحْدَكِ أنتِ بقِيتِ هناكْ...

هُنالكَ في صَمتكِ الأبديِّ بغيرِ حِراكْ...

هُنالِكَ في رحمةِ اللهِ بعدَ الصّبْر...

وَحِرمانِ عُمْر...

لكِ الكلماتُ حَزانى تُغالِبُ دمعَها الشّتويَّ بباقي الفُصولْ...

لكِ الذّكْرياتُ تُعاوِدُ بثَّ الحياةِ بِدَهْرٍ يَطولْ...

لِمَوتكِ كانَ الرّضا بالقَضاءِ وَنَجمُ الأفولْ.

وَهذا اعترافي بأنّ حُروفي فيكِ القليلة...

لأنّ أبي حينَ جِئْتِ دعاكِ: الأديبة...

وَلي فيكِ ثأرٌ سَيبقى لِظرفِ الزّمانِ وَظرْفِ المَكانِ...

وَقافلةٌ لِلوجوهِ القريبةْ.

لكِ صِدْقُ الدّعاءِ معَ السّابقينَ معَ اللّاحِقينَ معَ الواقِفِينَ عَلى ضِفّةِ الوقتِ...

يَنتظِرونَ اِنتِهاءَ الأجلْ...

وَدَمْعُ المُقَلْ...

لكِ عِندَ الشروقِ حماماتُنا وَهيَ تبحثُ عنْ كفّكِ...
حينَ يَنثرُ قمحَ الفطورِ لها في الشتاءِ...
وَفي الصيفِ تبحثُ عنهُ برحلةِ شوقٍ وبعضِ العَناءْ...
لكِ اللهُ - أختي - فإنّي تَعِبْتْ...
لأنّي البعيدُ وأنتِ البعيدة.
ودمعُ صِغاري يبلّلُ أكفانَ طُهْرٍ لِعَمّتِهِمْ رغمَ سوءِ الظّروفِ العنيدة.
وَلي مِنكِ طَيفٌ يُعَسْكِرُ في البالِ ما كَتَبَ اللهُ لي أنْ أعيشَ...
وَفَيْضُ الوفاءِ وَهَذي القصيدة.

عجمان ٢٠١٦/١/٢٣ م

ظايف

إلى أخي نايف ونجلت عبد الرزاق
وابن أختي مصطفى أنس الدرباس
الذين استشهدوا في يوم السبت ١٨/٣/٢٠١٧م
بغدر المتأسلمين البُغاة ورعاية الطُغاة

• • •

وفي غَمرةٍ من سُكونِ الظلامِ...
وبُخلِ الغيومْ.
يُناديكَ موتُكَ مُبتعِداً فيكَ عنْ مَوقِعِكْ...
تَقومُ إليهِ... تُنادي عَليهِ...
تُجيبُ نِداهُ وتَحمِلُ قُربانكَ المُتوَشِّحَ بالبَرْدِ والأُمنِيات...
فَيَرميكَ سَهْمُ المَنونِ المُسَدّدْ...
يُصيبُكَ في مَقتلِ الغافلينَ...

ولا تَتَنَهَّدْ.

ليتَ شِعري وعُمري كيفَ واجَهْتَهُ يا أخي؟؟

لَمْ تَبْكِ، لم تَحْكِ شَيئاً...

فما في الدقائقِ وقتٌ طويلٌ...

وحولَكَ في المَوتِ ما مِن أحَدْ.

تُراكَ أردْتَ مساعدةَ ابنِكَ حينَ صَرَخْ: يا أبي!!

تُراهُ أجابَكَ لمّا صرختَ: بُنَيَّ؟؟

أمِ الصَّمتُ سَيطرَ؟ والحَشرجاتُ تَوَلّتْكما في احتراقٍ وتمزيقِ عافيةٍ للصّحيحِ...

ونزفِ الوريدْ.

تَناهبَ جسْمَيكُما يا أخي...

ظلامٌ وبَرْدٌ وعَضُّ الحَديدْ.

ونارٌ ولغْمٌ وأنتَ الوحيدْ.

ومَا مِنْ أهلْ...

ومَا مِنْ بَواكي المُقَلْ...

ومَا مِنْ طبيبٍ، ومَا مِنْ أمَلْ...

ومَا مِنْ يردُّ النّداءَ...

إذا كانَ أصْلاً حَصَلْ.

هنالكَ قامتْ قيامَتُكمْ يا أخي مِن فعالِ البُغاةِ وظُلْمِ الطّغاةِ.

وصَوتِ الأَجَلْ.

هَكَذا يا أخي...

عِشْتَ لِلكلِّ...

مِتَّ فريداً...

وشِبْلُكَ (عبدٌ) أبى أنْ تكونَ الوحيدَ...

فآنسَ موتَكْ.

وصِحْتَ وصاحَ...

صوتُهُ لمْ يَصِلْكَ، وأُذناهُ ما سَمِعَتْ قَطّ صَوتَكْ.

ومَركِبُكَ الذهبيُّ الأثيرُ يَكُرّ على أربعٍ من كِرامٍ لخدمةِ كلِّ العَشيرة.

تَمَزّقَ في قسوةِ الموتِ...

دُونَ جَريرة.

وأهْلُكَ في وَجَلٍ وانتِظارِ الخَبَرْ.

وَأبناؤكَ الطّامحونَ لمَجْدِ العَلاءِ كَعِقْدٍ مُبَعثَرْ.

أشِقّاؤُكَ تحتَ النجومِ وخلفَ الحُدودِ وفي كلِّ مَهْجَرْ.
أبوكَ يُجَرجِرُ حِمْلَ الثمانينَ يسْأمُ من ثقلِها...
فينحازُ للإصبعينِ لترتجفا وقتَ لَفِّ "السّيجارةْ".
وفي الأفقِ بَعضُ غيومٍ وكذبُ "شُباطٍ" ...
مَلَلْنا اِنتِظارَهْ.
وبَحثُ (نهادٍ ومالكِ) عنكَ وما مِنْ مُعينْ.
وعَزمُ الرجالِ وعَقدُ اللسانِ ودَمْعٍ سَخينْ.
وبَعضِ التفاصيلِ مَوتْ...
وكلُّ المَساحاتِ مَوتْ...
وكلُّ الدروبِ، القلوبِ، الجُيوبِ، الغروبِ، الطّيوبِ، كَشَهْقاتِ مَوتْ...
وعُدْتَ برفقةِ (عبدٍ)...
كأنّ ذراعيكَ حِضْنٌ لابنِكَ...
كأنَ التّوابيتَ ما اسْتُحْدِثَتْ قبلَ يومِكْ...
ومِتَّ ليُولَدَ مِسْمارُها والخشَبْ.
تَضجُّ الوُحولُ وتَبكي السُّحُبْ.

وكلُّ محبّيكَ في عالمِ الذّكرياتِ...
وكلُّ الذينَ مَرَرْتَ عليهِمْ بخمسٍ وخمسينَ من سنواتٍ عِجافٍ...
أخي؛ لسْتُ أرثي...
فَحِبْرُ يَراعي جبانٌ إذا من عُلاكَ اقتربْ.
وَربّي الوحيدُ الذي يَعلمُ الحالَ والمُشتَكَى والسَّبَبْ.
إلى ذي العَرشِ نبتهِلُ إذا ضاقتْ بِنا السُّبُلُ
لِنُؤجَرَ في مُصيبتِنا ويبقى الحُزنُ والوجَلُ...
سَنبكي (نايفاً) عَلَماً بِوَسْمِ الجَدِّ مُتّصِلُ
ونَبكي يافِعاً (عَبْداً) إلى الرّزاقِ يَرتَحِلُ...
ونَبكي (مصطفى) بَطلاً.
كَذا يُبْكى لنا البَطلُ.
نَلوذُ بِصبرِنا العاتي إذا ما صُدَّعَ الجَبَلُ...
عَلى قَدرِ الرّجالِ المُؤمِنِينَ تُقدَّرُ النُّزُلُ.
بنارِ الثّأرِ نكْوي ثَلجَنا الغافي فَيَشْتَعِلُ...
وِأنتَ عَميدُ أسْرتِنا وَلَمَّتُنا إذا نَصِلُ.

بريءٌ مِنْ حُروبِهُمُ وفَوضاهُمْ إن اقْتَتَلوا...
زِراعَةُ (نايفِ) الزّيتونَ والأعنابُ والأمَلُ
زِراعَتُهُمْ شَظايا القَتلِ، والإرهابُ يَنتَقِلُ...
سَلامٌ مِنْ غريبِ الدّارِ يَبكي كلَّ مَنْ رَحَلوا...
أخي وَحَبيبي وزَندي اليمينْ...
كلُّ هَذي القوافي بُكاءْ...
وبعضُ دواءْ...
كلُّ هَذي الحياةِ مَلاعِبْ...
ولَهْوُ المَطالِبْ...
كلُّ هَذي الوجوهِ التي في عيوني شَواحِبْ...
ليسَ عَيباً بكائي عليكَ...
فموتُكَ أودى بصبري على راحتيكْ...
معي أنتَ مِن مولِدِكْ...
إلى أن وصلْتَ إلى مَوردِكْ...
فكيفَ سَأكمِلُ بعدَ عينيكَ هذا الطّريقْ؟
وكيف سَأقنعُ بُركانَ روحي بلَجْمِ الحَريقْ؟

obeikan.com

وكيفَ مَشيبُكَ يضحكُ لي؟
حينَ دقّتْ مَطارقُ هذي الحياةِ بضرباتِها...
فطارَ من الرأسِ جنحُ الغرابْ...
وأشعلَ شَيباً بِرأسِ الشّبابْ...
على دربِنا للمَقاديرِ شَوكٌ...
للمَساميرِ شَوكٌ...
وللوحلِ والشمسِ شَوكٌ، للقَرِّ للحَرِّ، والفقرِ والزّهْرِ، والشّرِّ والخيْرِ شَوكٌ...
وشَوكُ الرّوابي بقريتِنا كلَّ صيفٍ لديكْ...
رَكِبْنا، مَشَينا، ضَحِكْنا، وكُنّا نَخافُ الدُّموعَ...
إذا ما انتهينا منَ الضّحِكاتْ.
مَدَدنا يداً مِن بياضٍ وخيرٍ على الأقربينَ، على الأبعدِينَ...
على الموغِلينَ بكسرِ خواطرِنا في اجتماعِ العشيرةِ أو في الشّتاتْ.
شَبعْنا وكُنّا نخافُ المَجاعةَ في القادماتْ...
ويَغْربُ نجمُكَ...
يَسكُتُ صَوتُكَ، يَشتعلُ الحَبقُ المُستريحُ على المَصطبَةْ .

يَبقى طريقُكَ للبيتِ للمدرسةْ...
وتَبقى خُطاكَ تلوّنُ في الفجرِ دربَ الصلاةِ.
وهذا الزّقاقْ الذي كانَ شاهِدَ صِدقٍ لأحلامِنا المُستباحَةِ...
في لُهاث الحياةْ.
أخي لَسْتَ وحدَكَ في طولِ صَمْتِ المقابرْ.
إنَ أشجارَنا كلَّها سوف تمشي إليك...
فأنتَ المُزارعُ، أنتَ الحقولُ وأنتَ المُقيمُ المُسافرْ.
وأنتَ القمرْ...
وأنتَ المواسمُ للخيرِ، أنتَ المطرْ.
كمْ أنا مُذنبٌ يا أخي في ابتعادي!!
كمْ أنا ساذجٌ يا أخي بالأماني!!
وحلمِ اللقاءِ غَداةَ التّنادي.
فغُفرانَكَ مِن ذنبِ بُعْدي وراءَ الحُدودْ...
وغُفرانَ كفّيكَ مِن لمْسِ وجْهي عندَ الرجوعْ...
وهَلْ مِن رُجوعْ؟!
وهَلْ مِن رُجوعٍ ومَوتٌ يُحاصِرُنا في المداخلِ...

في البرِّ والبَحرِ والشّارعِ المُستباحْ...
وقصفٌ يُزلزلُ كلَّ ليْلاتِنا والصّبَاحْ...
وظُلْمٌ يُكَسِّرُ عَدلَ المَوازينِ...
رُكْنَ المَبادئِ، هامَ الكراماتِ...
لمّا تَحَكَّمَ في الظّرْفِ جَهْلُ السِّلاحْ.
سَتبقى شَقِيقي المُعَطِّرَ دَمعَ عيوني...
كَماءِ الرّكايا.
وَدَلْواً على ضفّةِ الوردِ يسقي العِطاشَ مفيضَ العطايا...
ورَمزَ الفِداءِ، السّخاءِ، البِناءِ، الإخاءِ، الوَفاءِ، بِلَيْلِ الحَكايا.
سينساكَ بعضُ الصّحابِ، الدروبِ، الأماكنْ.
وتَمسَحُ آثارَ خُطواتِكَ العاصِفاتُ، ولكِنْ.
سَتبقى بنبضةِ مَنْ ذاقَ بِرَّكَ في رَحِمٍ أو إخاءْ.
وتَبقى بدمعَةِ مَن كانَ يَقتسمُ الآهَ والوَعْدَ والأمنياتِ...
ومَسعى الشّقاءْ.
سَأملأُ كلَّ خَوابي جُدودي مِن اسمِكْ.
وأنقشُ في حائطِ الرّوحِ...

كلَّ طيوفٍ لِرَسْمِكْ.
وألعَبُ في وقتِنا الضّائعِ المُتثائبِ بينَ العزاءِ...
وفنجانِ قهوةْ.
وأكتُبُ عنكَ وعنْ رحلةٍ ما وصلتْ نِصْفَ غايتِها...
في امتحانِ الأُخُوَّةْ.
وتُلهِبُني شَهقةُ الموتِ في السَّعيِ للرّزقِ...
عندَ ضِفافِ المُحالْ.
وبينَ نِيوبِ الضّواري وعَزمِ الرّجالْ.
أخي (نايفاً)...
ها أنا أشْهَدُ أنَّ رحيلَكَ أعطبَ مِنّي يَميني.
وَعَفَّرَ بالضّعفِ عالي جَبيني.
وَأبقى عُصاراتِ دَمعي تُغالِبُ صَبْري...
فَتَهْمي مَعَ اسمِكَ كلُّ مُزوني.
أخي (نايفاً)...
لمْ يَعُدْ في رُجوعيَ للدّارِ لمْعُ الأماني...
فَهَلْ كُنْتَ أنتَ الوطَنْ؟

وَما عادَ يَضحَكُ بَعْدَكُ ثَغْرُ زماني...
فَهَلْ كُنْتَ ضِحْكَ الزّمَنْ؟
وَيدي في ارتِعاشٍ تُحاولُ ربطَ سُروجِ حِصاني...
وَلكِنَّها في وَهَنْ.
لَسْتُ للموتِ بالنَّدِّ، فهوَ القويُّ الذي ليسَ يُقْهَرْ.
كيفَ لا؟ وهُوَ أمْرٌ منَ اللهِ يأتي...
لكلِّ البَشَرْ.
ولكنّني يا أخي في ذُهولٍ سأبقى...
أراجِعُ قِصّةَ موتِكَ في دفترِ الرّاحِلينَ...
كَقَصْمِ الظَّهْرْ.
كأنّي وأنتَ نُعارِكُ ضَوءَ النُّجومِ بِسَهْرةِ صَيفٍ...
لِوَقتِ الفَجْرْ.
سَأبقى أُخاتِلُ حيطانَنا المُتعَباتِ...
عَساكَ تَجيءُ مِنَ الكَرْمِ، مِنْ دربِ ضَيْعَتِنا...
مِنْ غَبْرَةٍ في الطريقِ المُجاوِرْ.
مِنْ سُوقِ جُمعتِكَ المُتناثِرْ.

مِنْ سَفرةٍ لِلبِذارِ إذا الغيثُ أوحلَ دربَكَ...
أو نَومَةٍ في المَعاصِرْ.
سَأبقى أكَرِّرُ اسماً مُضافاً لأسماءِ مَنْ رَحلوا سابقاً...
في سُجودِ الجَبينِ ودَمْعِ القُنوتْ.
(نايفاً) وازدحامُ دعائي...
لأمّي وأختي، وابنِ أخي وابنِ أختي، وجَدٍّ وخالْ.
ويَبكي جَوابي بصمْتِ السّؤالْ.
فَنِسيانُ أطيافِكُمْ يا أخي مِنْ ضُروبِ المُحالْ.
وأذكُرُ أنَّكَ كُنْتَ تُطالِعُ شِعْرَ أخيكَ...
بشوقِ الفضولْ.
وتَعجَبُ منّي، وتسألُني:
كيفَ كنتُ ألاعِبُ خَيْلَ القوافي...
وتَشكُرُني حينَ أسْكُبُ ماءَ الحروفِ على الوردِ...
حتّى يعاندَ ضعفَ الذّبولْ...
فمَنْ سوفَ يقرأُ حُزنَ رثائِكْ؟؟
ومَنْ سوفَ يُهدي دواوينَ شِعري لأصحابِهِ؟؟

ومَنْ يا أخي سوفَ يرسمُ دمعي وَوجهي إذا عُدْتُ يوماً...
ولمْ تكُ عيناكَ في أولِ الواقفينَ بوهْجِ حُضوري؟
وكُحْلِ عيوني بِسَعْدِ لقائِكْ؟؟
ومَنْ سوفَ يُخصِبُ تلكَ الكرومَ بمحراثِ خيرٍ؟...
وفيضِ الأماني...
وَوحْلِ حِذائِكْ...
حِجارةُ بَيتكَ...
بَلاطاتُ مَدخَلِهِ بعدَ بابٍ وسيعٍ...
ورَمّانةٌ تتَدلّى مِن الحُزنِ بعدَ رحيلِكْ.
حَفيدٌ تمطّى بحضنِكَ...
يَتيمٌ سَيذكُر ما عاشَ فيضَ جَميلِكْ.
وجارٌ وصاحِبْ، غريبٌ أقاربْ...
يزفّونَ تابوتَكُم ذاهلينَ...
تُجاوِرُ دونَ مواعيدَ مَنْ سبقوكَ مِنَ الرّاحِلينْ.
وزيتونُنا الأخضرُ المتوَشِّحُ بالحزنِ يَبكي...
يَمُدُّ تِجاهَكَ أعناقَهُ...

كلمّا حانَ وقتُ الفلاحةْ...
غِطاءٌ لرأسِكَ، بقايا بكأسِكَ، دعاءٌ بهمسِكَ...
لآمالِكَ الذابلاتِ، لأمسِكَ...
تراتيلُنا الدّامِعة، في مدى الفاجِعة...
تُؤرّق عُمري تقولُ:
سَأبقى كـ "يعقوبَ" في حُزنِهِ عِندَ فقدِ بَنيهِ...
شَجِيّاً ضريراً...
لتأتي البِشارةُ من "يوسفٍ" في القميصِ...
فيغدو بصيراً.
أمّا أنا يا أخي بعدَ مَوتِكَ أغشى مَحطّاتِ تِيهي...
وما مِن بِشارةِ عَودةْ.
وشوكٌ بكلِّ مَخَدَّةْ.
وما مِنْ قميصٍ يَجيءُ لترجعَ نَحْوي وعَيني تَراكْ.
لذا سَوفَ يبقى معَ العُمْرِ دمْعٌ بَكاكْ .
سيرجعُ غيمُ "شُباطَ" كثيراً...
وأنتَ وعَبدٌ رقودٌ بأحضانِ بَعضِكما مِثلَ عُشّ الحَمامْ.

وعندَ المَغيبِ يعودُ الرِّعاءُ، وجَمْعٌ تعَفّرَ بالأرضِ وقتَ الحَصادْ
يُنادون، غيرَ أنّكُما لنْ تَردُّوا السّلامْ .
ونقطفُ عِنبَ الدوالي ونجمَعُ زيتونَنا...
وأحسَبُ أنّكُما مَعَنا تَسمعونَ الكَلامْ.
سَتأتي فُصولُ الحَياةِ وتَمضي...
وتُورق تِلكَ الكُرومُ وتَعرى،
ويَزدادُ في عُمْرِ أهْليكَ عامٌ فَعامْ.
سَتذكرُ كلُّ الدّروبِ مَسيرَكَ فيها...
كَخارطةٍ مِن جِهاتٍ، تَدلُّ على قدميكْ.
سَلامٌ عليكَ، على راحَتيكْ.
على غَيمَةٍ فوقَ داليَةٍ...
عَناقيدُها تَتلألأ لَدَيْكْ.
على القَبرِ وهُوَ يَضُمُّكُما مثلَ ما أنتَ تحْضِنُ (عَبْداً)...
بِكِلتا يَدَيكْ.
سَلامٌ عَليكُمْ، بِيَومِ وُلِدْتُمْ، وفي يَومِ مُتُّمْ.
وفي يَومِ حَشْرٍ إذا ما بُعِثتُمْ...

سَلامٌ عَليْنا، عَلى حُزنِنا يا أخي بَعدَ عينيكْ...
سَلامٌ، وصَبْرٌ، ودَمْعٌ...
ورحْمَة ربّي تَفِيضُ عَليْكْ.

٢٠١٧/٣/٧

obeikan.com

obeikan.com

المؤلف في سطور

- شاعر وناقد وقاص، من مواليد سوريا عام ١٩٦٥م، ومقيم حالياً في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ماجستير في تقنيات تدريس اللغة العربية من جامعة دينفر الأمريكية ٢٠١٥م.
- بكالوريوس الآداب من جامعة حمص كلية الآداب حمص سوريا ١٩٩١.
- دبلوم دار المعلمين بإدلب دورة ١٩٨٤م.
- عضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو جمعية حماية اللغة العربية.
- عضو لجنة الإمارات لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني.
- عضو معتمد في ديوان العرب الشعري الإلكتروني.
- عضو معتمد في اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
- عضو معتمد في تجمع شعراء بلا حدود الإلكتروني.

▪ الجوائز الأدبية الحاصل عليها:

- جائزة اتحاد الكتاب العرب في الشعر إدلب لعامي ١٩٩٥ - ١٩٩٦

- جائزة شعر الطفل العربي إدلب ١٩٩٦
- جائزة قصة الطفل العربي الإمارات لدورتي ١٩٩٨ - ٢٠٠١
- جائزة غانم غباش للقصة القصيرة الإمارات ٢٠٠٢
- جائزة شعر الطفل العربي جمعية المعلمين الإماراتية ٢٠٠٣.
- جائزة شاعر العربية في منطقة الشارقة التعليمية ٢٠٠٩.
- جائزة أنجال هزاع بن زايد لثقافة الطفل العربي - مجال الشعر - أبو ظبي ٢٠٠٩.
- جائزة وزارة الثقافة في دولة الإمارات لقصة الطفل الدورة السابعة - دبي ٢٠١٥.

■ نشاطات وفعاليات أخرى:

- مشارك في عدة لقاءات ومهرجانات شعرية في سورية والإمارات.
- كتب عنه بعض النقاد دراسات أدبية ونقدية في الصحف الورقية والإلكترونية.
- عضو لجان تحكيم في عدة جوائز أدبية في سورية والإمارات.
- له لقاءات صحفية وإذاعية ومتلفزة في أرشيف المحطات العربية.
- ترجمت المستعربة الإيرانية (سلفانا بور) بعض نصوصه للغة الفارسية.
- مدرب تربوي وثقافي معتمد.
- عضو المؤتمر الدولي للغة العربية.

- مدقق ومشرف لغوي متعاون مع عدة جهات حكومية.
- له المئات من المقالات النثرية المنشورة ورقياً وإلكترونياً.
- له المئات من النصوص المنشورة في الصحف والمجلات الورقية والمنتديات الإلكترونية.
- مقدم ندوات ولقاءات ثقافية معتمد من هيئة الشارقة للكتاب.
- موجه تخصصي للغة العربية في وزارة التربية بدبيّ.
- منشّط ومشرف على الأنشطة الثقافية في مراكز أطفال الشارقة.

▪كرَّمته عدة جهات رسمية وثقافية منها:

- في سورية: نقابة المعلمين، محافظة إدلب، اتحاد الكتاب العرب، المركز التلفزيوني بإدلب، فرع الطلائع بإدلب، المراكز الثقافية في كفرنبل، خان شيخون، السلمية، العدوي، تلبيسة، دار الثقافة في حمص، المركز الثقافي في دمشق، مديرية الثقافة في الرقة.
- في دولة الإمارات العربية: اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، قيادة شرطة الشارقة، قيادة شرطة دبي، جمعية المعلمين، النادي الأهلي، جمعية النهضة النسائية بدبي، منطقة الشارقة التعليمية، توجيه اللغة العربية، إدارة المدارس النموذجية، مؤسسة سلطان العويس الثقافية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، المجلس الأعلى للأسرة، منطقة دبي التعليمية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، مؤسسة الشارقة للإعلام، وزارة التربية والتعليم.

■ **التراجم والتعريف:**

ورد تعريف بالشاعر وسيرته الذاتية وبعض أعماله الشعرية في المصادر الآتية:

- كتاب (الشارقة في عيون الشعراء) للدكتور بهجت الحديثي إصدار دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة ٢٠٠٨.

- كتاب (سفراء الخيال) للباحث عزت عمر، إصدار وزارة الثقافة والشباب في دولة الإمارات ٢٠٠٩.

- كتاب (بيت الشعر، شعراء مروا من هنا) للأستاذ نزار أيوبة إصدار حكومة الشارقة ٢٠٠٧.

- كتاب (يوم الشعر العالمي) للدكتور بهجت الحديثي، إصدار دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة ٢٠٠٩.

- كتاب (القدس عاصمة الثقافة العربية) مشترك مع مجموعة شعراء ٢٠١٠.

- كتاب (مئوية الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود) طباعة مؤسسة البيارة الثقافية، فلسطين ٢٠١٣.

- كتاب (مأساة عيلان وأطفال سوريا) إصدار وتوزيع مؤسسة البابطين الثقافية، الكويت ٢٠١٦.

- كتاب (نُخبة شعراء الشام): إصدار رابطة الشعراء العرب ٢٠١٧.

▪صدر لـه:

١. ليلى وأحلام الرجال : شعر، دمشق ١٩٩٥.
٢. عابر سبيل : شعر، دمشق ١٩٩٨.
٣. عصافير الدم : شعر، دبي ٢٠٠٣ .
٤. بيادر الورق : شعر، حلب ٢٠٠٦ .
٥. وشم على جدار الروح : شعر، حمص ٢٠٠٨.
٦. مدخل إلى الفضاء الشعري في الإمارات : دراسة نقدية ، الشارقة ٢٠٠٩.
٧. موانئ النورس : شعر، حمص ٢٠١١ .
٨. بيادر الورق : شعر، الشارقة ٢٠١٢ .
٩. مشارق الخير : أدب الأطفال، الشارقة ٢٠١٢ .
١٠. دواوين على مدارات النقد : دراسة نقدية، الشارقة ٢٠١٦ .
١١. في خاصرة الأيَّام : منثورات متنوعة، شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٧ .

obeikan.com

الفهرست

- **القسم الأول: من تباريح الخاطر**

- أزرقان وشاعر ٩
- أسما وأسمر وتركي عربي ١٢
- أحبك بالإعراب والنحو ١٦
- إعلانات مبوبة ١٩
- أغصان زيتون لكن ٢٢
- أعيدي ترتيبي ٢٥
- إهداءات ساخنة ٢٨
- إيلاف ٣١
- باب لو المفتوح ٣٦
- بطاقة حب ٤٠
- بماذا نقيس الحب؟ ٤٤
- تباريح ٤٧
- تقاسيم على نصف قلب ٥٠
- حِبال وتأملات ٥٣

obeikan.com

- جنون الأماني ٥٧
- خائف من الحب ٦٠
- رثاء لخير جليس ٦٣
- رسالة ٦٦
- سألتها الوصل ٧٠
- سيدة الوقت ٧٣
- شاي واحتمالات ٧٦
- شؤون وشجون ٨٠
- صالح للنشر ٨٤
- عابرون ٨٦
- عاجل إلى أبي العلاء المعري ٨٩
- على هامش الدم ٩٤
- قلوب للإيجار ٩٨
- لن أكون معلماً ١٠١
- مجرد فكرة ١٠٤
- محضر اجتماع سري ١٠٧
- مخارز لعيون جميلة ١٠٩
- مساقط ١١٣

obeikan.com

- منطقة محايدة ١١٦
- نبضات شامية ١١٩
- أجل! عددت نقاط المطر ١٢٢
- همسات ليست للنسيان ١٢٥

• القسم الثاني: من قطار الذكريات

- عفواً انتهت صلاحيتك ١٣١
- أنا بين وزيرين ١٣٥
- أمي أخطأت بحقي ١٣٩
- تأبط شوقاً ١٤٢
- حامل المسك ١٤٦
- ذات صباح ١٤٨
- ساعاتي الثلاث ١٥١
- سندات تمليك ١٥٥
- ضيفة ١٥٨
- كسول في الرياضيات ١٦١
- لحظة وجل ١٦٧
- ثلاثة ١٧١
- يوم لا ينسى ١٧٦

obeikan.com

- **القسم الثالث: قصص قصيرة جداً**

- ويبقى الود ١٨١
- منافسة ١٨٢
- تسامح ١٨٤
- لص ١٨٥
- إيلاف ١٨٦
- مونديال ١٨٧
- درجات ١٨٩
- صديقتان ١٩٠
- عيوني والإبرة ١٩١
- زواج الـ sms ١٩٢
- ديوك قريتنا ١٩٣
- يمين صادقة ١٩٤
- خاتم فرح ١٩٥
- من حيث لا يحتسب ١٩٦
- الآن فهمت ١٩٧
- مجرد لعب ١٩٨
- زيارة صفية ١٩٩

obeikan.com

- عالم فيزياء جديد ٢٠٠
- حياة زوجية ٢٠١
- جوائز أوسكار الكذب ٢٠٢
- أمـــل ٢٠٥
- ناقـــد ٢٠٦
- دكاكين للشرف ٢٠٧
- سيف ٢٠٨

• القسم الرابع: فقاعات فيسبوكية

- بسرية تامة ٢١١
- جدار سوري ٢١٢
- وطن ٢١٣
- غُربة ٢١٤
- إعدام متأخر ٢١٥
- صابون ٢١٦
- سجين ٢١٧
- غلاء ورخص ٢١٨
- يوم المرأة العالمي ٢١٩
- سين جيم ٢٢٠

obeikan.com

- رسالة ٢٢١
- حلم طفولي ٢٢٢
- حتى وإن ٢٢٣
- يوم الكذب العالمي ٢٢٤
- خارطة ٢٢٥
- اشتياق ٢٢٦
- تعريفات ٢٢٧
- تغيرات الزمن ٢٢٨
- ظرف مكان ٢٢٩
- سؤال طفولي ٢٣٠
- تشابه واختلاف ٢٣١
- خلطة عجيبة ٢٣٢

• القسم الخامس: أوجاع مقدرة

- صباحك ثلج ٢٣٥
- نايف ٢٤٣

• المؤلف في سطور ٢٦٠

obeikan.com

❁ ❁ ❁

تمَّ الكتاب بحمد الله

دبي ٢٠١٧/٣/٧

obeikan.com

obeikan.com

Tel :(+2) 01288890065

www.shams-group.net